

صالح الوردانى
الكلمة و السيف
محنة الرأى
فى تاريخ المسلمين

الكلمة والسيف

محنة الرأى فى تاريخ المسلمين



★ مركز الحضارة العربية ، مؤسسة ثقافية مستقلة ، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى ، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل .

★ يتطلع مركز الحضارة العربية ، إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات ، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة

★ يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب ، ونشرها وتوزيعها .

★ يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد على تحقيق أهدافه .

★ الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها ، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية .

رئيس المركز

علي عبد الحميد علي

الكلمة والسيف .. محنة الرأى فى تاريخ المسلمين

المؤلف : صالح الورداني

الغلاف : ممدوح طلعت

الإخراج الداخلى : محمد الغلبونى

الطبعة الأولى : يناير ١٩٩٧

الجمع والصف الالكترونى : مركز الحضارة العربية

الناشر : مركز الحضارة العربية

٤ شارع العلمين - ميدان الكيت كات - جيزة

ت : ٣٤٤٨٣٦٨

رقم الإيداع : ٩٧/١٨٩٣

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-291-005-5

صالح الورداني

الكلمة والسيف

محنة الرأى فى تاريخ المسلمين



قال تعالى :

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ..

الكهف / ٢٩

مقدمة الناشر

ستظل قضايا الخلاف فى الرأى والأعتقاد على رأس قائمة اهتمامات المفكرين والمؤرخين ، ليس فقط لأن هذا الخلاف المتجدد يستمد جذوره من حقب تاريخية مضت ، ولكن قبل ذلك وبعده لأنها مشيئة الله فى خلقه عندما قضى عليهم بالاختلاف ، ولو شاء سبحانه وتعالى لجعل الناس أمة واحدة ، وعلى رأى واحد .

وهذا الكتاب يتعرض من وجهة نظر مؤلفه الأستاذ صالح الوردانى لواحدة من أكثر قضايا الخلاف فى الرأى حساسية ومدعاة للجدل ونعنى الصراع فيما بين النص والرأى ، أو بالآحرى أصول ومظاهر وأسباب الخلافات التى نشبت فيما بين المسلمين من بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

إن إيماننا العميق بأن الاختلاف فى الرأى لا ينبغى له أن يحول دون كفالة حقوق متساوية لأطراف الخلاف فى طرح رؤاهم وما يعتقدونه حقا يدافعون عنه ، هذا الإيمان كان وراء نشر هذا الكتاب الذى نحسب أنه سيثير جدلا تتناسب جديته وما نصادفه من متغيرات حاسمة فى حياتنا السياسية والفكرية خلال السنوات المتبقية من القرن العشرين .

والمساحة الزمنية التى يتجول المؤلف داخل سنواتها الطوال وأحداثها الجسام باحثا عما يؤيد افتراضاته ، هى بحد ذاتها منبع ومعين لا ينضب لعشرات من التفسيرات والرؤى حتى لتتباين الآراء حول الحدث الواحد أشد ما يكون التباين ، ولعل فى ذلك ما ينفى عن الإسلام ما حاوله البعض من إلصاق تهم الجمود والاستبداد بدعوته الحنيفة .

ورغم قناعتنا بأنه لا يوجد طرف فى العملية التاريخية يتبوأ على الدوام مقعد الظالم الجلاد أو مقام المظلوم المهان ، فإن ما يطرحه المؤلف الوردانى عن محنة الرأى فى تاريخ المسلمين يستحق أن يقرأ بإمعان واهتمام لعلنا نجد فيه تفسيرا لبعض ما نكابده اليوم من مظاهر الاستبداد بزعم احتكار الوطنية أو إدعاء الحكمة الألهية .

الناشـــــر

تقـــديم

قـنـيـة مصـادرة الرأى التى نعاصـرها اليـوم والتى تتبناها مـؤسـسـات وهيئات ورمـوز وتيارات إسلامية إنما هى وليدة تلك المرحلة التى سادت فيها السياسة والقبلية والمصالح على جوهر الإسلام ..

ويمكن القول أن تلك المرحلة بدأت بالفعل بعد وفاة الرسول (ص) مباشرة حين بدأت تباشير الصراع بين الرأى والنص تظهـر على الساحة وحين سادت القبلية والأهواء والمصالح وضرب الخط الإسلامى الذى خطه الرسول وحدد ملامحه ومعالمه للأمة من بعده ..

ثم دخلت الأمة مرحلة جديدة من مراحل مصادرة الرأى بعد فترة حكم الخلفاء الثلاثة وهى المرحلة الأموية التى اخترعت فيها الروايات المنسوبة للرسول والتى تضفى المشروعية على الوضع القائم ووجه بقسوة وبطش شديد الرأى الآخر المواجه لخط بنى أمية الذى أرسى دعائمه معاوية بن أبى سفيان ..

ووجه بقسوة خط الامام على وأولاده وشيعتهم . وشنت عليهم أول حرب إعلامية فى تاريخ المسلمين استخدمت فيها المنابر والاحاديث والفتاوى بهدف محو هذا الخط وتشويهه ..

ثم وضع السيف على رقاب الاشياع والاتباع ممن ناصروا هذا الخط ووالوه من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين فقهاء وأدباء وشعراء وعامة ..

ولم تكن قضية مصادرة الرأى وتجريمه تنحصر فى دائرة الخلفاء وبنى أمية وحدهم فقد ابتليت الأمة بخط الخوارج أيضاً ذلك الخط القشرى المتعصب الذى لايفقه سوى لغة السيف والتصفية الجسدية . وقد بدأ صدامه مع الإمام على وتكفيره ثم تطور بعد ذلك إلى تكفير جميع المسلمين المخالفين واستغلال دمائهم وأموالهم .

واستمر تيار الخوارج يلقى بظلاله على واقع المسلمين حتى عصرنا الحاضر الذى أصبحت التيارات الإسلامية تسلك نهجه وتفكر بعقله ..

ثم دخلت الأمة مرحلة تقنين تجريم الرأى ومصادرته وضرب النصوص التى تدعمه وتحض عليه وهى المرحلة العباسية التى جمعت فيها الروايات المنسوبة للرسول ورتبت وفق معايير سياسية خاصة . وصيغت قواعد وعقائد لدعم الوضع السائد وإضفاء المشروعية عليه والتى تمخضت فى النهاية عما سمى : (أهل السنة والجماعة) الذين اعتبروا أهل الحق والناطقين باسم الإسلام وحملة مفتاح الجنة وتصاريح دخولها ومن خاصمهم لن يشم رائحتها ..

من هنا ومع استمرار دعم القوى الحاكمة لأهل السنة وتحالفها معهم أصبح الخارج عن دائرتهم والمناوئ لهم في دائرة التجريم والزندقة ..

ومنذ العصر العباسي وظهور أهل السنة وحتى اليوم استمرت عملية مصادرة الرأى والبطش بالمخالفين وتبرير هذا البطش وإلباسه الشرعية ..

ثم دخلت الأمة بعد ذلك المرحلة النفطية التى برز فيها الدور السعودى الوهابى وتفرخت من خلاله التيارات الاسلامية المعاصرة وتطبعت به المؤسسات الدينية الحكومية والهيئات والرموز والاقلام الإسلامية فى مختلف بقاع العالم الاسلامى ..

وكان الدور السعودي الوهابى محصلة جهود القوى الحاكمة على مر تاريخ المسلمين وهو امتداد فعلي للخط القبلى والأموى والعباسي والأيوبى والمملوكى والعثمانى بالإضافة إلى نتاجات فقهاء السلطة ..

وإن فقهاء الوهابية اليوم هم نموذج حى لفقهاء الأمس من السلف والخلف الذين باركوا كل صور العبث والتشويه للإسلام وباركوا مصادرة الرأى وتجريمه ..

إننا نعتقد أن ماحدث من انتهاكات للرأى عبر التاريخ إنما هو يرتبط بالمسلمين لا بالإسلام ..

يرتبط بالحكام ..

ويرتبط بالفقهاء ..

ويرتبط بالروايات المختلقة ..

أما الإسلام بحقيقته وصورته الربانية الصافية فقد عزل عن واقع الحياة من بعد وفاة الرسول (ص) ولم تظهر له إلا ومضات فى فترات متقطعة طوال التاريخ ..

من هنا فقد ربطنا فى هذا الكتاب جرائم الرأى وانتهاكات الحقوق والبطش بالمخالفين ، ربطناها بالحكام والفقهاء والروايات المختلقة وهذه فى مجموعها تشكل تاريخ المسلمين لا تاريخ الإسلام ..

وسوف يري القارئ من خلال هذا الكتاب مايدعم هذه الحقيقة ..

صالح الورداني

القاهرة

ص .ب / ١٦٣ / ١١٧٩٤

الرأى والنص

اهل السنة والتيارات الاخرى

بين الرأى والنص صدامات وتباعدات على مستوى التاريخ والتراث الإسلامى عموماً . فتارة يقترب الرأى من النص وتارة يبتعد عنه ..

وتارة يعدم الرأى ويسود النص ..

وتارة يعدم النص ويسود الرأى ..

وحركة التباعد والتقارب هذه كان يحكمها العامل السياسى المتمثل فى الحكام . فكلما كان الرأى قريباً من الحكام كان مشروعاً . وكلما كان بعيداً عنهم كان مجرماً وممنوعاً ..

ولم ينحصر هذا الموقف فى حدود الرأى فقط إنما تجاوزه إلى حدود النص الذى يصطدم معهم والذين كانوا يضطرون فى أغلب الاحيان إلى تأويله وصرفه عن معناه . وبالطبع كانت مهمة التأويل هذه هى مهمة الفقهاء ..

ماهو النص .. ؟

إن النص تعبير يطلق على الكلام المقروء والمسموع . لكنه فى معناه الاصطلاحى يطلق على كلام الله وكلام الرسول (ص) الصحيح ..

من هنا فيمكن القول أن النص من باب الاصطلاحى ينقسم إلى قسمين :

نص قرآنى ..

نص نبوى صحيح ..

أما النص القرآنى فينقسم إلى : قطعى وظنى ، ومحكم ومتشابه ، ومطلق ومقيد ،

وعام وخاص ، ومجاز وحقيقة ، وغير ذلك مما أصطلح عليه علماء اللغة والاصول ..

أما النص النبوى فينقسم إلى صحيح وضعيف وحسن وموضوع ومرفوع إلى غير ذلك من الاقسام التى نص عليها علماء الحديث ..

وعلماء الحديث ركزوا جهودهم على البحث فى سند الحديث (رواته) وأهملوا متنه (نصه) ..

إن هذه التقسيمات التى تتعلق بالنص القرآني والنبوى إنما هى صورة من صور الابداع العقلى . وهى إن دلت على شئ فإنما تدل على أن الإسلام قد أعطى مساحة للعقل واسعة وبلا حدود . حتى أن القرآن أباح الجدل فى أدق المسائل وهى وجود الله وقدرته ..

ويبدو ذلك بوضوح من خلال قوله تعالى على لسان إبراهيم (رب أرنى كيف تحيي الموتى)

وعلى لسان موسى (رب أرنى انظر إليك)

لكن القوم ضيقوا علي العقل وكبلوه بقواعد جامدة أقل مايقال فيها إنها من اختراع السياسة ..

وكان نتيجة هذه القواعد أن علا الرجال فوق النصوص وأصبح الحق يعرف بالرجال لا العكس ..

من هنا نشأت فكرة قداسة الرجال مثل أبو بكر وعمر وعثمان وغيرهم وأصبح المساس بهم مساس بالدين ..[1]

وفكرة تحريم الخوض فى النصوص إلا لطبقة الفقهاء والتى أنعكست بصورة واضحة على قضية الرأى على ما سوف نبين ..

إن النصوص هى الحدود والضوابط والمعايير التى يقاس عليها الرجال ومن اصطدم بها أو خالفها فقد انحرف عن الحق ولو كان صحابياً ..

والنصوص القرآنية والنبوية التى تتفق مع القرآن والعقل والتى ترمى إلى معنى واضح ومحدد ولا مجال للخلاف حولها كالنصوص التى تؤكد وحدانية الله ونبوة محمد (ص) والبعث والنشور مثلاً أما النصوص التى تتعلق بالاحكام والتوجيه والارشاد والاخلاق وأمور الدنيا عموماً فإعمال العقل فيها متاح لكل من يملك أدوات ذلك ..

ومساحة الخلاف فى هذه المسائل مفتوحة بلا حدود ولا يوجد ما يقيدها فى الاسلام ..

إلا أن التاريخ يشهد بوقوع تجاوزات كثيرة للنصوص من قبل الصحابة والحكام وحتى الفقهاء كما يشهد بوقوع انتهاكات لحقوق الانسان خاصة فى مجال الرأى ..

إن المتأمل فى نصوص القرآن يكتشف أن آيات الأحكام لا تزيد على الخمسمائة آية كما يكتشف

(١) الاعتقاد بقداسة أبى بكر وعمر خاصة ثم عثمان إنما هو ناتج من خلال الروايات التى تزكيهم والمنسوبة للرسول . انظر كتب السنن أبواب فضائل الصحابة .. وهى روايات يستشعر منها رفع أناس على حساب آخرين .
انظر لنا كتاب الخدعة . وكتاب السيف والسياسة .

أن النصـوص الظنية أى التى لا ترمى لمعنى محدد هى أكثر بكثير من النصوص القطعية وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على مرونة الإسلام فى مواجهة الواقع والاحداث ..

وكما تنص القاعدة الاصولية التى تقول : النصوص متناهية والحوادث غير متناهية . أى إن القضايا التى تتطلب تحديد موقف الإسلام منها وحكمه فيها تتواتر بالملايين على مر الزمان بينما آيات الأحكام معدودة . وهذا يعنى أن هذه الآيات بمثابة قواعد يجتهد على أساسها ويسترشد بها ..

وهنا يطرح الاستشكال التالى : ما دام الأمر كذلك والاسلام يعطى للعقل وللرأى هذه المساحة الواسعة . فمن أين جاءت تلك القواعد والنصوص التى أحدثت هذه البلبلة الفكرية وأصبحت أسلحة تشهر فى وجه الرأى الآخر لترهبه وتحول بينه وبين الإبداع والاجتهاد وفى أحيان أخرى تودى بصاحب الرأى وتبرر نحره على رؤوس الاشهاد ..؟

والحق أن السبب المباشر فى حدوث هذه الاشكالية يعود إلى عدة حقائق تبدو واضحة من خلال التطبيق الإسلامى على مر التاريخ وقد تحاشى الخوض فيها تيار أهل السنة لاعتبارات مذهبية ..

الحقيقة الأولى : ان مكمن الاشكالية ينحصر فى ذلك الكم من النصوص المنسوبة للرسول (ص) وليس للنصوص القرآنية أى دور فيها ..

الحقيقة الثانية : ان القوى الحاكمة وأصحاب المصالح قد وجدوا فى هذه النصوص بغيتهم فقاموا بدعمها ونشرها ..

الحقيقة الثالثة : ان هناك فجوة كبيرة بين النص والتطبيق على مستوى المجتمع الاسلامى . فقد غطت الممارسات السياسية والقبلية والمذهبية على النصوص . فمن ثم وجب تخليص النصوص من هذه الممارسات والنظر فيها بتجرد بعيداً عن الرموز التى ارتبطت بها سواء كانوا من الصحابة أو من الفقهاء ..

إن المتعمق فى التراث الإسلامى قد يخرج بمحصلة أن الإسلام ضد حرية الرأى وأنه طوال مراحل التاريخ الاسلامى لم يأخذ الرأى الآخر مساحته المطلوبة بل عودى وأضطهد وبطش بأصحابه ..

وهؤلاء إنما بنوا موقفهم هذا على أساس التطبيق والممارسات السياسية للدول والحكومات التى قامت بعد وفاة الرسول (ص) وما نتج عن هذه الممارسات من نصوص اخترعت لتبرير هذه الممارسات على لسان الرسول (ص) ..

ومازاد هذا رسوخاً هو تلك المواقف والممارسات التى تتبناها التيارات الاسلامية المعاصرة فى مواجهة الرأى الآخر . هذه التيارات التى تعيش فى مأزق فكرى بسبب الأطروحات التراثية التى تعتقدها وتبنى تصورها وأطروحتها على أساسها وبين الواقع والمتغيرات ..

- العقيدة الالهية والعقيدة الوضعية :

إن مكمن المأزق الذى تعيشه التيارات الإسلامية المعاصرة والفكر الإسلامى بشكل عام والذى أبرزه بمظهر الاستبداد وأبرز التيارات الإسلامية بمظهر العدوانية والتعصب مماشكك الرأى العام فى أطروحتها - إنما يعود سبب ذلك إلى التراث الذى صبغته الروايات المنسوبة للرسول (ص) وطغت عليه أقوال الرجال وأصبح من الصعب التفريق بين النص والرجال أو بين النص والتطبيق ..

وهذا المأزق قد شمل المؤسسات الإسلامية الحكومية التى طوعت الدين للحكومات وأخضعت النص للطرح الحكومى ..

وليس هناك من سبيل للخروج من هذا المأزق إلا بالتفريق بين النص والتراث أو بين النص وأقوال الرجال التى تحولت بمرور الزمن إلى عقيدة طغت على العقيدة الالهية ..

من هنا وجب التفريق بين العقيدة الوضعية والعقيدة الالهية كي يتبين لنا أن مناهضة الرأى وتجريه إنما يعود إلى تبنى العقيدة الوضعية فى مواجهته ..

والمقصود بالعقيدة الوضعية هى تلك الآراء والاجتهادات والروايات المنسوبة للرسول التى علقت بالاسلام وأصبحت بمرور الزمن جزءاً منه أما العقيدة الالهية فهى النصوص القطعية الواردة بالقرآن التى تتعلق بالله وبالرسول وسائر الغيبيات التى يعتقدها المسلمون وبها أصبحوا مسلمين ..

وعلى ضوء ماسبق يمكن تقسيم العقيدة الوضعية إلى قسمين :

الأول : سياسى ..

الثاني : مذهبى ..

أما السياسى فهو ما قد أدخلوه على الدين من قواعد ومفاهيم وروايات توجب الاعتقاد بخلافة الأربعة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم على . على هذا الترتيب ..

والاعتقاد بعدالة جميع الصحابة .

ووجوب السكوت على الخلافات والممارسات والتجاوزات التى أرتبطت بكثير من الصحابة بعد وفاة الرسول (ص) .. [٢]

ووجوب طاعة الحكام وعدم الخروج عليهم .. [٣]

---

(٢) تنص عقيدة أهل السنة على هذا الترتيب . كما تنص على عدالة جميع الصحابة بلا استثناء . أنظر العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية وكتب عقائد أهل السنة الأخرى مثل الابانة فى أصول الديانة للأشعرى . وأصول الدين للبغدادى . وانظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار ..

(٣) طاعة الحكام وان جلدوا الظهور وسلبوا الأموال وان كانوا فجاراً واجبة كذلك الصلاة من خلفهم والحج والجهاد معهم . وهو ما تنص عليه كتب العقائد المشار إليها سابقاً . وهو دليل كاف على ان السياسة لعبت لعبتها فى صياغة هذه العقائد ..

ووجوب الصلاة وراء كل بروفاجر .. [٤]

وكل هذه قواعد اخترعتها السياسة لإخضاع الأمة للحكام وليس لها أي نصيب من الشرعية ولاتوجد نصوص قطعية تدعمها اللهم إلا بعض النصوص النبوية المخترعة لغرض تبريرها ونشرها وإضفاء المشروعية عليه ..

ومثل هذه القواعد من أساسيات عقيدة أهل السنة وإنكارها أو نقدها يوجب الحكم بالمروق والزندقة .. [٥]

أما المذهبي فهو اعتقاد أن طريقة أهل السنة هي مذهب الحق ونهج الفرقة الناجية من النار ومادونه الباطل والحكم بالزيغ والضلال على المذاهب والاتجاهات الأخرى .. [٦]

إن المواجهة مع الرأي الأخر سواء تمثل في أتجاهات قديمة (الفرق) أو في اتجاهات معاصرة (الجماعات) إنما تقوم في أساسها على الجانب الوضعي عند أهل السنة .

أي أن أهل السنة بفقهائهم ومؤسساتهم يواجهون الآخرين في كل عصر بآراء واجتهادات تم دعمها من قبل الحكام وأوهموا العامة أنها نصوصاً ..

ولقد منحت الحكومات المتعاقبة أهل السنة فرصة التمكن والسيادة على الأخرين مما يسر لهم التغلغل والانتشار بين الجماهير على حساب التيارات الأخرى من معتزله وشيعة وغيرهم وقد أدى هذا الوضع إلى حصول أهل السنة على صلاحية محاكمة الآخرين والبطش بهم ..

ان أحداث التاريخ تؤكد أن أهل السنة عاشوا واستمروا بفضل دعم الحكام ولو كان الحكام قد تخلوا عنهم لكانوا أندثروا بأفكارهم وآرائهم كما أندثرت فرق أخرى كثيرة لم تجد عوناً ولا دعماً من القوى الحاكمة ..

وهذا الدعم لأهل السنة من قبل الحكام إنما هو مستمر حتى اليوم ليس لشئ إلا لكون نهج أهل السنة يمثل أكبر دعامة يمكن أن ترتكز عليها الحكومات في مواجهة التيارات الأخرى التي تهدد وجودها ومستقبلها ..

وفي الحقبة النفطية المعاصرة قام النظام السعودي بدعم عقيدة أهل السنة التي تمكنت بفضل هذا الدعم من إختراق التيارات والمؤسسات واستقطاب الرموز الاسلامية البارزة في الساحة الإسلامية ..

ولأن الدعوة الوهابية التي يرفع رايتها آل سعود تقوم في أساسها على دعوة ابن تيمية وفكره .

---

(٤) ابتدعت هذه القاعدة من فعل ابن عمر حين صلى وراء الحجاج بن يوسف وليس لها سند صحيح ..

(٥) حكم بالمروق والزندقة على الشيعة والمعتزلة والجهمية والقدرية وغيرهم ممن خالفوا نهج أهل السنة ..

(٦) تحصن أهل السنة برواية (افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة . وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة . وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة . فرقة واحدة في الجنة واثنتان وسبعون في النار .. وقد اعتبر أهل السنة أنفسهم فرقة أهل الجنة الناجية من النار التي قصدها الرسول (ص) ..

فقد ركز آل سعود على نشر خط ابن تيمية ومعتقداته بين الاسلاميين حتى أصبحت عقيدته وأفكاره هي المعبر عن الاسلام وأهل السنة بين جميع التيارات الاسلامية والرموز الاسلامية المعاصرة .. (٧)

بينما الحقيقة أن عقيدة ابن تيمية عقيدة شاذة في دائرة أهل السنة وقد ضربت من قبلهم وحكم على ابن تيمية بالكفر من قبل علماء عصره وحبس بسبب أفكاره الشاذة حتى مات في السجن.. (٨)

إن أفكار ابن تيمية ومواقفه ومعتقداته إنما تمثل أخطر صور التحجر والتعصب والعدوانية التي ظهرت في تاريخ المسلمين . وقد ورث هذا التحجر والتعصب والعدوانية تلاميذه ثم التيار الوهابي المعاصر الذى نقله بدوره إلى التيارات الاسلامية ..

ولقد ظلت المؤسسة الدينية وتيار أهل السنة ألعوبة الحكام على مر الزمان ويبدو هذا الأمر واضحاً أمامنا حين سخرت التيارات والمؤسسات الاسلامية في محاربة إيران والشيعة ودعم صدام حسين أثناء الحرب العراقية الايرانية . ثم سخرت نفس المؤسسات والتيارات والرموز في محاربة صدام حين انقلب على دول الخليج وقام بغزو الكويت ..

- **تجريم الرأى :**

إن هناك الكثير من النماذج على مستوى التاريخ والواقع تكشف لنا أن احترام الرأى الآخر والتسامح معه لم يكن لها وجود إلا في أضيق الأطر وفي حالات خاصة . وإن الذي ساد هو الاستبداد ..

استخدمت فيه القوى الحاكمة السيف ..

واستخدم فيه الفقهاء النص ..

وحسب القاعدة الفقهية التي ابتدعها أهل السنة : لا اجتهاد مع النص . فإنه لايجوز إبداء الآراء في حالة وجود النص . ولكن أي نص ..؟

لقد حال أهل السنة بين المسلمين ومحاولات الاجتهاد حتى أغلق بابه تماماً . وتفرخت من خلال هذا الوضع الفرق والاتجاهات المتحجرة والمتخلفة عن الواقع والتي أدت بهم في النهاية إلى أن يصطدموا بها كما حدث مع ابن تيمية . وكما يحدث مع الجماعات الاسلامية المعاصرة خاصة في السعودية . تلك الجماعات التي أصبحت تشكل خطراً على التيار السني الوهابي والمؤسسة الدينية بكاملها هناك . ورغم كون أهل السنة يحظرون الاجتهاد مع النص إلا أنهم اضطروا لتبرير اجتهادات كثيرة برزت مع

---

(٧) يقوم آل سعود بنشر كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب ويوزعونها مجاناً على المسلمين . وقد قام خادم الحرمين بطبع فتاوى ابن تيمية (٣٧) مجلد على نفقته ويوزع مجاناً . وجدير بالذكر أن التيارات الإسلامية المتطرفة تعتمد على أفكار ابن تيمية . كما أن ان المواقف العدوانية ضد الآخرين مستمدة من أفكاره أيضاً ..

(٨) انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني جـ ١ / ١٤٤. وفيه انه نودى في الطرقات من اعتقد عقيدة ابن تيمية فقد استحل ما له ودمه .

وجود النص قام بها صحابة على رأسهم عمر بن الخطاب الذى منع نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة وهم من الأصناف الثمانية التى نص عليها القرآن . ومنع تقسيم الغنائم على فاتحى فارس على الرغم من أحقيتهم لهذه الغنائم بنص القرآن . وحرم زواج المتعة وكان ذلك مخالفة صريحة لحكم شرعى قرآنى .. [٩]

ونفس الموقف وقفوه من عثمان حين أحرق المصاحف وألزم الأمة بمصحفه وقضى بذلك على كل صور الاجتهاد وأعمال العقل فى نصوص القرآن والتى كانت تعتمد على تفسيرات وتوضيحات لنصوصه منقوله عن الرسول (ص) كانت موجودة بالمصاحف التى تم إحراقها . [١٠]

أى أن فعل عثمان أجبر الأمة على فهم القرآن وتلقيه بشكل محدد وقد رتب ترتيباً خاصاً لا مجال لاعمال العقل فيه وأصبح يعوق فهم نصوص القرآن ..

وقد برر موقف عثمان هذا من قبل الفقهاء كما بررت تجاوزاته وممارساته الأخرى .كذلك الامر بالنسبة لعائشة التى خالفت النصوص القرآنية التى تأمرها بعدم التبرج والخروج من البيت وخرجت على الجماعة الشرعية وحرضت على الثورة وقتال الإمام على لأغراض قبلية لا صلة لها بالدين وتسببت فى إراقة دماء آلاف المسلمين .

ثم بررت جرائم معاوية وانتهاكاته لحدود الدين وأضفيت عليه صفة القداسة باعتباره صحابياً . ودافع كثير من الفقهاء عن ولده يزيد وحسنوا صورته فى أعين المسلمين وعلى رأس هؤلاء الفقهاء ابن تيمية . واستمر موقف التبرير والدفاع عن التجاوزات والجرائم والانتهاكات حتى شمل الحجاج بن يوسف الذى كان يصلى من ورائه عبدالله بن عمر بن الخطاب وانس بن مالك .. [١١]

إلا أن أهل السنة الذين لا يبيحون الخروج عن النص نظرياً يعتبرون الصحابة هؤلاء استثناءاً خاصاً لأنهم عدول باجماعهم ولان عمر وعثمان من الراشدين المهديين الذين أمرنا باتباع سنتهم وهديهم .. [١٢]

أما محاولات الاجتهاد وابداء الآراء من قبل أى طرف آخر فى النصوص خاصة تلك النصوص التى تتعلق بالصحابة والحكام والسياسة فممنوعة ويجرم فاعلها ويزندق ..

يقول ابن كثير عن الذين يحاولون المساس بالصحابة أو نقدهم : من ظن بالصحابة ذلك فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطئ على معاندة الرسول (ص) ومضادتهم فى حكمه ونصه ومن

---

(٩) انظر لنا كتاب زواج المتعة حلال . وكتاب السيف والسياسة .. وانظر كتاب النص والاجتهاد ط بيروت ..

(١٠) انظر كتاب الخدعة ط بيروت . وكتاب دفاع عن القرآن ..

(١١) انظر لنا كتاب العواصم من القواصم لابى بكر بن العربى وهو كتاب وضع خصيصاً للدفاع عن الصحابة وتبرير مواقفهم ..

(١٢) هذا الموقف نابع من حديث منسوب للرسول (ص) يقول : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى.. وقد أعتبر أهل السنة أن هذا الحديث يقصد به الخلفاء الأربعة..

وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقه الإسلام من عنقه وكفر بإجماع الأمة والاعلام وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام .. [١٣]

إن نقد الصحابة ومهاجمتهم عند أهل السنة يعتبر كفراً لأنه فى نظرهم نقد وهجوم على الإسلام فهم قد ربطوا أنفسهم بالإسلام حتى اعتقدوا أن الإسلام هو مذهبهم ومذهبهم هو الإسلام ..

وهذا هو حال التيارات الاسلامية المعاصرة التى تعيش بعقل الماضى فقد وصلت باتباعها منهج أهل السنة إلى هذا الاعتقاد ..

ولاشك أن هذا الاعتقاد سوف ينتج عنه تجريم الآخرين وتكفيرهم ممن يخوضون فى قضايا التاريخ وأحداثه التى أرتبطت بكثير من الصحابة .

وسوف ينتج عنه الاحساس بالعلو والترفع على الآخرين ..

وسوف يبيح لهم إجراء محاكم تفتيش للآخرين ..

وهذا ماحدث على مر التاريخ حتى أن بعضهم قال : إن من يتمنون موت أهل السنة يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون .. [١٤]

وعلى رأس النصوص النبوية - وليس القرآنية - التى أعتمد عليها أهل السنة فى إضفاء المشروعية والقداسة على أنفسهم وعلى الحكام الذين يدعمونهم تقف النصوص التالية :

(إن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة ؟ وفسرت الواحدة أنها أهل السنة والجماعة ..

(من رأى من أميره مايكره فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات إلا مات ميتة جاهلية .. [١٥]

(السمع والطاعة وإن جلد ظهرك وأخذ مالك) [١٦]

(من خرج عليكم وأنتم جميع فاضربوه ضربة رجل واحد ..) [١٧]

(من أحدث فى أمرنا هذا فهو رد ..) [١٨]

(خير القرون قرنى ثم الذى يليه ثم الذى يليه) [١٩]

---

(١٣) البداية والنهاية جـ ٥ / ٢٥٢ ..
(١٤) القائل هو أبو ايوب السجستانى . نقلاً عن كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائى جـ ١ / ٦١ ..
(١٥) انظر البخارى ومسلم كتاب الإمارة وكتب السنن الأخرى ..
(١٦) مسلم كتاب الإمارة ..
(١٧) المرجع السابق ..
(١٨) البخارى ومسلم ..
(١٩) المرجعين السابقين ..

(لاتسبوا أصحابي ..) [20]

(عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوعليها بالنواجذ ..) [21]

وعلى أساس هذه النصوص وغيرها قام أهل السنة بدعم الحكام بإجراء المحاكمات العقائدية والفكرية للآخرين واستباحة دمائهم ..

والمتأمل في محاكمة الحلاج الذي حكم بصلبه يتبين له هذا الأمر . كذلك تكفير ابن عربي وزندقته وابن قتيبة وابن هاني الأندلسي الشاعر ثم المسعودي المؤرخ المتهم بالتشيع وكذلك الاصبهاني صاحب الاغاني ومصرع السكيت على يد المتوكل العباسي بسبب آرائه ثم السهروردي ومذابح صلاح الدين في مصر واعدامه للشاعر عمارة اليمني ومصرع النسائي صاحب السنن الذي قتل على يد أهل الشام بسبب موقفه من معاوية وغير ذلك من الرموز الفكرية والادبية والفقهية التي راحت ضحية الرأي على ماسوف تبين .. [22]

يروي ابن كثير في تاريخه تحت عنوان (قتل الرافضي الخبيث) : أنه وجد بالجامع الأموي بدمشق رجل يسب الشيخين (أبو بكر وعمر) وصرح بلعنهما . ورفع أمره إلى القاضي المالكي فاستتابه على ذلك فأصر وحكم بإراقة دمه فضربت عنقه وحرقت العامة رأسه وطافت بها في طرقات المدينة .. [23]

ومن خلال هذه الحادثة نخرج بالنتائج التالية :

- ان الذي يسب الصحابة تساوى حكمه مع الذين يسبون الله عند أهل السنة ..
- ان سب الصحابة ردة عن الإسلام ..
- ان المتهم كان مخيراً بين السيف ورأيه ..
- ان أهل السنة يعتبرون ناقد الصحابة ساباً لهم وطاعناً فيهم ..
- ان الاستتابة التي لا تجوز إلا في حالة الردة عن الإسلام طبقت هنا على ساب الصحابة ..

كما أن التمثيل بجثث الموتى لا يجوز شرعاً فمن أين أتوا بجواز التمثيل بجثة هذا القتيل

ولا يتسع المجال هنا لذكر الامثلة الخاصة بمصادرة الرأي وتصفية أصحابه والبطش بهم فهي أكثر من أن تحصى إلا أننا سوف نورد في هذا الكتاب ما يمكن حصره من هذه الحالات ..

والمتأمل في حالات الصدام المعاصرة بين التيارات والمؤسسات الإسلامية وبين التيارات والاتجاهات السياسية الآخرى يتبين له أن جميع هذه الحالات تدخل في مجال صراع الرأي وليس صراع

---

(٢٠) أنظر أبو داود وكتب السنن ..

(٢١) أبو داود . وأنظر كتب السنن ..

(٢٢) انظر باب شهداء الرأي من هذا الكتاب ..

(٢٣) البداية والنهاية جـ ١٤ / ٣١٠ . وانظر تفاصيل هذه الحادثة ضمن ملاحق الكتاب ..

النص والرأى أى أن التيارات والمؤسسات الإسلامية تصارع التيارات الآخرى بالجانب الوضعى من العقيدة والتى تتمثل فى الآراء والقواعد والمفاهيم التى اخترعتها السياسة ودعمها الفقهاء وأضفوا عليها القداسة ..

إلا أن أهل السنة حولوا الصراع بينهم وبين التيارات الآخرى إلى صراع نصوص فهم لايطيقون الرأى الآخر ويغلقون الأبواب في وجهه ويسخفون العقل ويهملونه وقد اعتادوا منذ ظهورهم على هذا الوضع متحصنين بالاغلبية ساخرين من القلة متلحفين بنصوص وهمية منسوبة إلى الرسول (ص) ومستورين بالحكام ..

وينبغى لنا هنا أن نلقى الضوء علي المحاذير التى أدت إلى هذه الصدامات الفكرية المعاصرة وتجريم أصحاب الرأى . تلك المحاذير التى تنبع أساساً من نفس الموقف القديم . فطريقة المواجهة وطريقة التفكير وحتى طريقة المحاكمة للرأى الآخر والتى هى أشبه بمحاكم التفتيش لا تزال كما هى فمن ثم فإن الذين تصدوا للرموز الفكرية والاقلام المعاصرة وحاربوهم باسم الاسلام كانو يتسلحون بنفس الاسلحة التى كان يتسلح بها فقهاء الماضى ..

من هنا فهم يرفضون الصدام مع أطروحات التراث وتحطيم الحواجز التى تكبل العقل والتى اخترعتها السياسة فى عصر برزت فيه دعاوى الحرية وخفت فيه ضغوط الحكومات على الرأى وهذه المحاذير التى تبرر إعلان الحرب على الرأى الآخر اليوم يمكن تركيزها فيمايلى :

- أرتباط معظم الرموز الاسلامية بدول النفط خاصة السعودية ..

- أرتباط الرموز والكتاب بتيارات واتجاهات تقتضى إبقاء هذه القواعد والمفاهيم الوضعية (عقيدة أهل السنة)

- إرهاب المؤسسات الدينية ..

- إرهاب التيارات الاسلامية ..

إن مثل هذه المحاذير هى التى تبرر ذلك الموقف المعادى الذى يتخذه هؤلاء من كل من يحاول الخوض أو الخروج من الدائرة التى رسمت للأمة من قبل الحكام وأضفيت عليها المشروعية من قبل الفقهاء ..

وإن الحفاظ على مذهب أهل السنة يقتضى محاربة الرأى الآخر وتدميره . فهذه المسألة بالنسبة لأهل السنة مسألة مصيرية تحتم استحالة التعايش بينهم وبين الآخرين . فمن ثم سوف يستمر البطش والارهاب الفكرى من قبلهم تجاه كل تيار أو صاحب فكر يحاول المساس بهم أو يشكك فى مفاهيمهم وعقائدهم وذلك لاعتبارات كثيرة ذكرناها ونوجزها فيمايلى :

- اعتقادهم أنهم يمثلون الفرقة الناجية من النار فى الآخرة المنصورة من عدوها فى الدنيا

- اعتقادهم أنهم يمثلون الأغلبية ..

- الشعور الدائم بالأمن والاستقرار فى كنف القوى الحاكمة ..

- اندثار معظم الفرق والاتجاهات المناوئة لهم ..

- الشعور بالاستعلاء على الآخرين (أصحاب البدع والضلالات من منظورهم والذين يتركزون اليوم فى التيار الشيعى والتيار الصوفى على المستوى الاسلامى والتيارات العلمانية والقومية وغيرها عى المستوى السياسى) ..

- البطش الدائم بالمخالفين على مر الزمان طبع أفكارهم وعقائدهم بالطابع السلطوى ..

من هنا ومماسبق ذكره يتبين لنا أن قضية الرأى والمصادرة الفكرية لها جذورها التاريخية التى تجعل من الصعب مناقشتها دون العودة لهذه الجذور وتنبنى على هذه الصعوبة صعوبة أخرى هى صعوبة المعالجة ..

وإذا كانت مسألة اجهاض الرأى ومقاومته على مر الزمان قد ارتبطت بأهل السنة فإن هذا يؤكد لنا أن اجهاض الرأى ومقاومته كان من قبل المسلمين لا الاسلام الذى لم تتح له منذ وفاة الرسول (ص) فرصة التطبيق الصحيح ..

وتبقى اشكالية فكرية فى دائرة طرح أهل السنة تكشف لنا مدى حالة التناقض الفكرى التى يعيشها هذا الطرح وتكشف لنا بوضوح أن الحكام هم الذين ستروا أهل السنة وحافظوا على هذا الطرح المتناقض ولولا هذا الموقف لكان أهل السنة فى ذمة التاريخ . حالهم كحال أى فرقة أخرى من الفرق المندثرة ..

ومكمن هذه الاشكالية ينحصر فى موقف أهل السنة من عائشة زوجة النبى (ص) وأبى بكر وعمر وعثمان ومعاوية ويزيد ولده وقد أسهم هؤلاء جميعاً فى إراقة دماء المسلمين والبطش بالمخالفين وعذروهم .

ولقد كان من الأولى لأهل السنة ماداموا يعذرون فى الدماء أن يعذروا فى الافكار . إلا أن مثل هذا الموقف بالطبع سوف يصطدم بالحكام والمحافظة عليه يعنى الحفاظ على خط وسياسة تحقق الدعم الشرعى والاستقرار للحكام ..



الجذور الفقهية والتاريخية ..

تعد قضية العنف قضية طارئة على الواقع الاسلامى تولدت من خلال السياسة ولم تتولد من خلال النصوص. بمعنى أن السياسة صبغت الاسلام بصبغتها بعد وفاة الرسول (ص) وخلقت الكثير من النصوص التى أسهمت فى توطين العنف وتبريره فى واقع المسلمين ..

إن المتأمل فى نصوص القرآن - وهى النصوص التى لم تمتد إليها يد السياسة - لا يجد من بينها أية نصوص تشير إلى العنف تجاه المسلمين وغير المسلمين. حتى نصوص الجهاد لها تقنين خاص يرتبط بظروف ومسببات كما يرتبط بوجود الدولة ..

والعبث. كل العبث بدأ مع الروايات التى قام باختراعها الحكام بداية من أبى بكر حتي معاوية . تلك الروايات التى استعان بها الفقهاء من بعد فى صناعة فقه العنف ثم تلقفت التيارات الاسلامية من بعدهم هذه الروايات وفتاوى الفقهاء لتبرير استخدام العنف فى مواجهة المخالفين من المسلمين وغير المسلمين ..

من هنا فإن البحث فى قضية العنف إنما يفرض علينا إلقاء الضوء على تاريخ المسلمين الذي نبعت منه هذه القضية وفرضت نفسها فى حصانة روايات مخترعة باركها فقهاء السلطة وزادوها مناعة ومشروعية بفكرة الاجماع ..

لقد نبعت قضية العنف من خلال ثلاثة قطاعات :

الأول: الصحابة ..

الثاني: الفقهاء ..

الثالث: الحكام ..

أولاً / الصحابة :

إن الحديث عن سلوكيات الصحابة ومواقفهم تجاه قضية العنف تتطلب العودة إلى الوراء إلى واقع الرسول (ص) طارحين السؤال التالي : هل تبنى الرسول العنف ومارسه .. ؟

والجواب : لا .. فالرسول طوال فترة الدعوة لم يتبنَ العنف ولم يناد به ولم يمارسه ..

سواء على مستوى تطبيق النصوص ..

أو في مواجهة الخصوم ..

أو في حدود الرأي ..

وهناك ثلاث جبهات وقفت في مواجهة الرسول (ص) وعرقلت مسيرته وتآمرت عليه بل حاولت اغتياله ورغم ذلك كان الرسول يقف في مواجهتها موقفاً سلمياً غاية في الاعتدال وهذه الجهات هي:

قريش ..

المنافقون ..

الخوارج

فتارة كان يواجهها بسلاح الشعر ..

وتارة بسلاح الكلمة والبيان ..

وتارة يواجهها بتحصين مجتمعة وتقوية دولته وتعبئة أصحابه ..

وحين فتح الرسول (ص) مكة قال لأهلها قولته الشهيرة : اذهبوا فأنتم الطلقاء .. [١]

ومثل هذا الموقف إنما يعكس مدى عمق التسامح والاعتدال في منهج الرسول الذى تجلى في الشعار الذى رفعه حين الفتح : من دخل داره فهو آمن . ومن دخل البيت الحرام فهو آمن . ومن دخل دار أبو سفيان فهو آمن .. [٢]

وفي مواجهة المنافقين التزم الرسول بسياسة الارجاء . أى إرجاء عقابهم إلى الآخرة على الرغم من معرفته التامة بهم ومدى مايشكلون من خطر على الدعوة والمجتمع .. ورغم مطالبة الصحابة بضرورة التخلص منهم بقتلهم . فقد كان الرسول يرفع في وجه المطالبين بتصفيتهم شعاره : أخاف أن يقال أن محمداً يقتل أصحابه

إن هذا الموقف من الرسول (ص) تجاه المنافقين يدل دلالة واضحة على مدى تسامح الرسول ومدى

(١) انظر كتب السيرة والتاريخ ..
(٢) انظر المراجع السابقة ..

اعتداله في مواجهة الخصوم وهو يحمل رؤية مستقبلية ذات أهمية بالغة لتأمين مسيرة المجتمع وتحقيق الاستقرار على ساحته . فالمنافق يظهر الاسلام ويبطن الكفر والاحكام والمعاملة إنما تبنى على الظاهر لا على الباطن . ولو حاكم الرسول الناس على أساس سرائرهم التي لا يعلمها أحد إلا الله فهو بذلك يدمر دعوته ويفرق الناس من حوله . ثم أن الرسول وحده الذي يعلم بسرائر هؤلاء المنافقين عن طريق الوحي لا الصحابة ولا سائر المجتمع فعلى أي أساس سوف يعاقبهم ..؟

إلا أن الرسول (ص) بهذا الموقف يسن لأصحابه تشريعاً حكيماً لتسويس المجتمع وتحقيق الأمن والاستقرار لكافة قطاعاته فلو قدر له أن يفتح باب تصفية المنافقين جسدياً لتحول المجتمع من بعده إلى ساحة إعدامات تجري من حولها أنهار الدماء . إذ أن القتل سوف يكون بمجرد الظن والشبهة أو حتى بمجرد التصريح برأي مخالف ..

وأما بخصوص الخوارج فقد برزت طلائعهم في عصره وتحددت له أشخاصهم وتنبأ أصحابه بفتنتهم إلا أنه لم يتخذ أية تدابير أمنية تجاههم وذلك لسبب جوهري واضح هو أن الرسول يريد أن يضع قاعدة للمؤمنين في التعامل مع الخصوم وهي ان العقاب يكون في مواجهة الجرم لا ان يكون في مواجهة احتمال وقوعه . فالرسول يعلم بما سوف يصنعه الخوارج من فتن ومفاسد في المستقبل لكن مجرد العلم لا يكفي لتوقيع العقوبة . إذ كيف يعاقب المرء على أساس علم الغيب ..؟[3]

ومثل هذا الموقف من الرسول إنما هو قمة الاعتدال وقمة الحرية التي تفتقد لها مجتمعاتنا اليوم التي تأخذ الناس بالظن وتعاقبهم بالنوايا ..

وحتى يظهر لنا موقف الرسول (ص) وممارساته بصورة أكثر وضوحاً سوف نعرض لعدد من الروايات التي تؤكد اعتدال هذا الموقف وسماحته :

(من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنا وإن سرق وإن شرب الخمر ..) [4]

(من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ذمة الله ورسوله) [5]

(كل المسلم على المسلم حرام : دمه وماله وعرضه ..)[6]

(الدين النصيحة ..) [7]

(إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحدا إلا غلبه ..) [8]

---

(٣) انظر مسلم باب ذكر الخوارج . وكتب السنن ..

(٤) رواه البخاري ومسلم ..

(٥) انظر المرجعين السابقين وكتب السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسند أحمد والبيهقي ..

(٦) انظر المراجع السابقة ..

(٧) المراجع السابقة ..

(٨) المراجع السابقة ..

(لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ..)[٩]

(إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ..)[١٠]

(إن دماءكم وأموالكم واعراضكم عليكم حرام ..)[١١]

(إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس ..)[١٢]

(نهى رسول الله عن لعن شارب الخمر ..)[١٣]

(ونهى عن قتل من قال لا إله إلا الله ..)[١٤]

(المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ..)[١٥]

ويروى أن رسول الله (ص) بعث على بن أبى طالب إلى اليمن فبعث إليه منها بذهبية فى أدم مقروص لم تحصل من ترابها فقسمها بين أربعة نفر . فقال رجل من أصحابة كنا أحق بهذا من هؤلاء فبلغ ذلك النبى (ص) فقال : ألا تأمنونى وأنا أمين فى السماء يأتين خبر السماء صباحاً ومساء . فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس . مشمرالإزاز . فقال : يارسول الله . اتق الله . فقال الرسول : ويلك . أولست أحق أهل الأرض أن يتقى الله فولى الرجل فقال خالد بن الوليد : وقال يارسول الله ألا أضرب عنقه . فقال : لا لعله أن يكون يصلى قال خالد : وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه . فقال الرسول : إنى لم أؤمر ان انقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم . ثم نظر إليه وهو مقف فقال أنه يخرج من ضئضى هذا قوم يتلون كتاب الله رطباً لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية [١٦]

ويروى أن أسامة بن زيد قتل رجلاً بعدما قال لا إله إلا الله . فقال له الرسول (ص) غاضباً يا أسامة أقتلته بعدما قال : لا إله إلا الله وكرر ذلك عليه حتى قال أسامة : تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ .. [١٧]

ومثل هذه النصوص والمواقف التى تعكس واقع الرسول (ص) وتؤكد رفضه لفكرة العنف إنما تعد مثالاً وتطبيقاً عملياً لقوله تعالى : (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ..)

---

(٩) المراجع السابقة ..
(١٠) المراجع السابقة ..
(١١) المراجع السابقة ..
(١٢) المراجع السابقة ..
(١٣) المراجع السابقة ..
(١٤) المراجع السابقة ..
(١٥) المراجع السابقة ..
(١٦) المراجع السابقة ..
(١٧) المراجع السابقة ..

وقوله : (كتب ربكم على نفسه الرحمة ..)

وقوله : (رحمتي وسعت كل شئ ..)

وقوله للرسول : (وانك لعلى خلق عظيم)

البداية :

ما أن اشتد المرض بالرسول (ص) حتى بدأت تظهر في الأفق بوادر الانحراف بين قطاعات المنافقين والخوارج والقبليين والتى أثمرت في النهاية حالات من العنف فرضت نفسها على واقع المدينة فور إعلان وفاة الرسول ..

وأول هذه الحالات رفض عمر بن الخطاب وصية الرسول وإثارته الشغب في حضرته وهو على فراش مرض الموت وسبه الرسول مما أدى إلى انقسام الصحابة ما بين مؤيد لعمر ورافض لموقفه ووقوع صدام بين الطرفين ..

يروى البخارى عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس .. وما يوم الخميس ..؟

اشتد الوجع برسول الله (ص) فقال : أئتونى اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً ..

فتنازعوا ولا ينبغى عند نبى تنازع . فقالوا ما شأنه أهجر . استفهموه . فذهبوا يردون عليه فقال : دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه ..

وفى رواية أخرى : لما حضر رسول الله (ص) وفى البيت رجال . فقال النبى : هلموا اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . فقال بعضهم أن رسول الله قد غلبه الوجع وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله . فاختلف أهل البيت واختصموا . فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ومنهم من يقول غير ذلك . فلما أكثروا اللغو والاختلاف . قال رسول الله : قوموا ..

قال ابن عباس : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب لاختلافهم ولغطهم ..

وفى رواية ثالثة عن ابن عباس أيضاً : لما اشتد بالنبى وجعه قال : أئتونى بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده . قال عمر : إن النبى غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا . فاختلفوا وكثر اللغط . قال - أي - الرسول : قوموا عني ولاينبغي عندي التنازع . فخرج ابن عباس يقول : إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه ..(١٨)

فهذه الروايات تكشف لنا أول صور العنف مورست في حضرة الرسول وهو فى مرض الموت بزعامة عمر بن الخطاب الذى سب الرسول بقوله ما شأنه أهجر . وهجر فى اللغة تعنى أفحش . يقال هجر

(١٨) انظر البخارى كتاب العلم . ومسلم كتاب الوصية . ومسند أحمد ج ١ / ٣٥٥ ..

الرجل إذ هذى وأهجر إذ أفحش ..[١٩]

وحين جهز الرسول بعث أسامة لغزو الروم عصى كثير من الصحابة أمر الرسول وطعنوا في إمارة أسامة حتى أدى الأمر بالرسول إلى لعن المتخلفين عن الجيش ..

يروى البخارى : استعمل النبى أسامة فقالوا فيه .. فقال النبى قد بلغنى أنكم قلتم فى أسامة وانه أحب الناس إلى ..

ويروى عن ابن عمر قال ان رسول الله (ص) بعث بعثاً وأمر عليهم أسامة بن زيد فطعن االناس فى إمارته فقام رسول الله . فقال : إن تطعنوا فى إمارته فقد كنتم تطعنون فى إمارة أبيه من قبل . وأيم الله إن كان لمن أحب الناس إلى . وإن هذا أى أسامة – لمن أحب الناس إلى بعده ..

ويروى على لسان الرسول (ص) قوله : انفذوا بعث أسامة . انفذوا بعث أسامة لعن الله من تخلف عن بعث أسامة ..[٢٠]

ومن المعروف تاريخياً أن الرسول توفى ولم يخرج بعث أسامة وهذه إشارة إلى أن هناك قوى ليس فى صالحها خروج هذا الجيش الذى كان يضم كبار الصحابة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر..[٢١]

إن المتتبع لسيرة الرسول (ص) يكتشف أن هناك حالات كثيرة من العنف أرتبطت بعدد من الصحابة البارزين ولم تكن تلك الحالات تنحصر في حدود الصحابة وبعضهم أو الصحابة ومخالفيهم أو غير المسلمين بل تعدت ذلك كله لتشمل الرسول نفسه ..

يروي البخارى أن عمر كان يقف بطريق نساء النبى ليلاً وهن خارجات للخلاء لقضاء حوائجهن معترضاً على خروجهن . وقد مرت عليه سودة بنت زمعة زوج النبى فقال لها عمر : عرفناك سودة . عرفناك سودة . فعادت إلى بيتها وشكت إلى النبى ..[٢٢]

ويروى البخارى أن رسول الله (ص) حين هم بالصلاة على عبدالله بن أبى سلول زعيم المنافقين جاء عمر وجذبه من ثوبه قائلاً : أتصلى عليه وقد نهاك ربك ..؟[٢٣]

كذلك كانت هناك حالات من العنف موربست ضد الامام على فى حياة الرسول من قبل قطاع من الصحابة كانوا يحسدونه على مكانته من رسول الله وقد نزل فيهم قوله تعالى (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ..)

وحسماً لحالة العداء والحسد هذه قال الرسول فى على : أنه لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا

---

(١٩) انظر شرح هذه الحادثة فى فتح البارى شرح البخارى لابن حجر ج ١٣ / ٢٠٦ ..

(٢٠) انظر تاريخ الطبرى وكتب السيرة ..

(٢١) انظر قصة جيش أسامة فى كتب السيرة والتاريخ . وفتح البارى . وانظر لنا السيف والسياسة

(٢٢) انظر باب خروج النساء للخلاء ..

(٢٣) انظر البخارى كتاب التفسير . قوله تعالى (لاتصلى على أحد منهم مات أبداً ..)

منافق (٢٤)

وقد جاء قول الرسول هذا ليجلي الموقف ويضع الحق في صف علي ومن شايعه وهو مايبرز لنا بوضوح أن هناك جبهة من الصحابة كانت تتربص بعلي تلك الجبهة التي برزت بوضوح بعد وفاة الرسول وكان لها دورها البارز في عزل الامام علي وآل البيت والصحابة الذين يوالونهم ..

- السقيفة وتوابعها

كان ما جرى في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة الرسول (ص) يعد من أبرز صور العنف التي مارستها الجبهات التي كانت مكبوتة في حياة الرسول والتي وجدت فرصتها بعد وفاته في التحرك لتحقيق مآربها ..

ومرة أخرى يبرز عمر في صورة أكثر عنفاً في مواجهة خصومه من الصحابة وعلى رأسهم الامام علي وأصحابه ..

يروي النويري عن أخبار السقيفة أن سعد بن عبادة خطب في الأنصار قائلاً : إن العرب دانت باسيافكم .. استبدوا بهذا الأمر دون الناس فإنه لكم دون الناس .. وبلغ عمر الخبر فذهب إلى أبي بكر فوجده مشغولاً بهذا الأمر فأرسل إليه أنه قد حدث أمر لابد لك من حضوره . فخرج إليه فقال : أما علمت أن الانصار قد اجتمعت في سقيفة بني ساعدة يريدون أن يولي هذا الأمر سعد بن عبادة وأحسنهم مقالة من يقول : منا أمير ومنكم أمير . فخرجا مسرعين نحو السقيفة وجمعا في طريقهما عدداً من المهاجرين وتنازعوا بين الذهاب أو حسم الأمر بينهم دون الأنصار ثم قرروا الذهاب . قال عمر : والله لنأتينهم ..

وفي السقيفة أرتفعت الأصوات وكثر اللغط . وهنا أصدر عمر قراره لأبي بكر : ابسط يدك نبايعك . فبسط يده فبايعه وبايعه المهاجرون . وبايعه الأنصار . ثم نزلوا على سعد حتى قال قائلهم : قتلتم سعد بن عبادة . فقال عمر : قتل الله سعداً . وإنا والله ما وجدنا أمراً هو أقوى من مبايعة أبي بكر إنا خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يحدثوا بعدنا بيعة . فإما أن نبايعهم على مانرضى . أو نخالفهم فيكون فشل .. (٢٥)

وهناك روايات أخرى تنص على تصريحات أخرى لابي بكر وعمر والأنصار كل في مواجهة الآخر يقول فيها أبو بكر : إن قريشاً أحق الناس بهذا الأمر من بعد الرسول لا ينازعهم ذلك إلا ظالم . ونحن الأمراء وأنتم الوزراء . لا تفاتون بمشورة ولاتقضى دونكم الأمور .. (٢٦)

---

(٢٤) انظر مسلم . كتاب فضل الانصار ..

(٢٥) نهاية الادب في فنون الادب . وفتح الباري ج ٧ / ٣٠ . وانظر كتب التاريخ .

(٢٦) انظر مروج الذهب للمسعودي والبداية والنهاية لابن كثير والطبري والكامل لابن الأثير .

أما تصريح الانصار فى مواجهة المهاجرين فقد حمله الحباب بن المنذربن الجموح فقال : يامعشر الانصار . أملكوا على أيديكم . فإن الناس فى فيئكم وفى ظلكم . ولن يجترئ مجترئ على خلافكم . ولن يصدر الناس إلا عن رأيكم . وأنتم أهل العزة والثروة . وأولوا العدد والتجربة . وذوو البأس والنجدة . وإنما ينظر الناس إلى ماتصنعون . فلا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم . وتنتقص أموركم فإن أبى هولاء إلا ماسمعتم . فمنا أمير ومنهم أمير .. [٢٧]

وكان رد عمر أكثر عنفاً . قال : هيهات ؟ لا يجتمع إثنان فى قرن . إنه والله لايرضى العرب أن يؤمروكم ونبيها (ص) من غيركم . ولكن العرب لا تمتنع أن تولى أمورها من كانت النبوة فيهم وولى أمورهم منهم . ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين . من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته . ونحن أولياءه وعشيرته إلا مدل بباطل أو متجانف لإثم أو متورط فى هلكة..

ورد الحباب على عمر بلغة أشد عنفاً فقال : يامعشر الانصار أملكوا على أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر . فإن أبوا عليكم ماسألتموه . فاجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الامور . فانتم والله أحق بهذا الأمر منهم . فإنه باسيافكم وإن لهذا الدين من لم يكن يدين ..

ورد عمر : إذن يقتلك الله ..

ورد الحباب : بل إياك يقتل .. [٢٨]

وصاح صوت من المهاجرين (أبو عبيدة) : يا معشر الانصار أنكم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدل وغير [٢٩]

وطالب بشير بن سعد من الانصار قومه بالتخلى عن هذا الأمر لقريش ابتغاء وجه الله . وقال أبو بكر : هذا عمر وأبو عبيدة فأيهما شئتم فبايعوا .. [٣٠]

ورجع عمر وأنصاره كفة أبى بكر وقدموه للخلافة وحدث صدام بين الأنصار بسبب مبايعة بعض الانصار له . وتحركت الاوس لمبايعة أبى بكر لتفوت الفرصة على الخزرج بزعامة سعد بن عبادة . ودخلت قوات قبيلة اسلم المدينة وسيطرت على دروبها ومسالكها ولما رآها عمر قال فى فرح : ماهو إلا أن رأيت أسلم . فأيقنت بالنصر .. [٣١]

(٢٧) انظر المراجع السابقة ..
(٢٨) المراجع السابقة ..
(٢٩) المراجع السابقة ..
(٣٠) المراجع السابقة ..
(٣١) المراجع السابقة

ويروى أن الناس أقبلوا من كل جانب يبايعون أبا بكر وكادوا يطئون سعد بن عبادة . وقال ناس من أصحاب سعد : اتقوا سعدا لا تطئوه . وقال عمر : اقتلوه .. اقتلوه .. قتله الله .ثم قام على رأسه فقال : لقد هممت أن أطأك حتى تندر عضدك .. فأخذ قيس بن سعد بلحية عمر ثم قال : والله لوحصصت منها شعرة مارجعت وفى فيك واضحة .. [٣٢]

ويروى ابن عبد البر : وتخلف عن بيعته سعد بن عباده وطائفة من الخزرج وفرقة من قريش ثم بايعوه بعد غير سعد .. [٣٣]

وكان عمر يحرض أبى بكر على سعد ليجبره على البيعة فقيل له : أنه ليس يبايعكم حتى يقتل وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته وطائفة من عشيرته . فتركوه .. [٣٤]

إلا أنه هناك جانب آخر من قريش كان بعيداً عن السقيفة . وهذا الجانب يملك رصيداً أقوى من رصيد قطاع أبو بكر وعمر ومن تابعهما وهو جانب الهاشميين بزعامة الامام على الذى كان مشغولاً بتجهيز الرسول ودفنه ..

وتروى الروايات أن عمر هم بإحراق بيت فاطمة الذى كان مقراً للقطاع المعارض لحكم أبى بكر بقيادة الامام على .. [٣٥]

ويروى في نهج البلاغة أن علياً سأل عما حدث في السقيفة فقال : ماذا قالت قريش ؟

قالوا : احتجت قريش بأنها شجرة الرسول فقال على : احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة ..

ويروى الطبرى أن علياً أرسل إلى أبى بكر فقال عمر : والله لا تدخل عليهم وحدك

فقال أبو بكر : وما عساهم أن يفعلوا بى .. ؟ والله لآتينهم إلا منفرداً ..

ويروى المسعودى : ولما بويع أبو بكر فى يوم السقيفة وجددت البيعة له يوم الثلاثاء على العامة خرج على فقال : أفسدت علينا أمورنا ولم تستشر . ولم ترع لنا حقاً ..

فقال أبو بكر : بلى ولكنى خشيت الفتنة ..

وكان للمهاجرين والانصار يوم السقيفة خطب طويل . ومجاذبة فى الامامة . وخرج سعد بن عبادة ولم يبايع . فصار إلى الشام . فقتل هناك فى سنة خمس عشرة . وليس كتابنا هذا موضوعاً لخبر مقتله . ولم يبايع أحد من بنى هاشم حتى ماتت فاطمة . (ع) [٣٧]

---

(٣٢) المراجع السابقة ..
(٣٣) انظر الاستيعاب فى معرفة الاصحاب هامش الاصابة فى تميز الصحابة لابن حجر ترجمة أبو بكر ..
(٣٤) انظر مروج الذهب وكتب التاريخ .
(٣٥) انظر تاريخ الطبرى
(٣٦) انظر مروج الذهب وكتب التاريخ ..
(٣٧) انظر مروج الذهب وكتب التاريخ ..

ويروى المسعودى عن أبي بكر : لما احتضر قال : ما آسى على شئ إلا على ثلاث فعلتها وددت أنى تركتها . وثلاث تركتها وددت أنى فعلتها . وثلاث وددت أنى سألت رسول الله (ص) عنها :

فأما الثلاث التى وددت أنى تركتها : فوددت أنى لم أكن فتشت بيت فاطمة وذكر فى ذلك كلاماً كثيراً . ووددت أنى لم أكن قد حرقت الفجاءة وأطلقته بخيخاً أو قتلته صريحاً .

ووددت أنى يوم سقيفة بنى ساعدة قذفت الامر فى عنق أحد الرجلين فكان أميراً وكنت وزيراً .

والثلاث التى تركتها ووددت أنى فعلتها : وددت أنى يوم أتيت بالا شعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه . فإنه قد خيل لى أنه لا يرى شراً إلا أعانه . ووددت أنى كنت قد قذفت المشرق بعمر بن الخطاب . فكنت قد بسطت يمينى وشمالى فى سبيل الله . ووددت أنى يوم جهزت جيش الردة ورجعت أقمت مكانى فإن سلم المسلمون سلموا . وإن كان غير ذلك كنت صدر اللقاء أو مدداً ..

والثلاث التى وددت أنى سألت رسول الله (ص) عنها . وددت أنى كنت سألته فى من هذا الأمر فلا ينازع الأمر أهله . ووددت أنى سألته عن ميراث العمة وبنت الاخ فإن بنفسى منها حاجة . ووددت أنى سألته هل للانصار فى هذا الأمر نصيب فنعطيهم إياه .. (٣٨)

يروى البخارى على لسان عائشة قولها حول أحداث السقيفة : لقد خوف عمر الناس وإن فيهم لنفاقاً فردهم الله بذلك .. (٣٩)

إن ماحدث فى سقيفة بنى ساعدة لا صلة له بالشورى وإنما هو صراع قبلى بين عدة جبهات انتصر فيه الطرف الأقوى ودخل فى صدامات دموية مع المعارضين فيما سمى بحروب الردة ومانعى الزكاة ولقد تسلم عمر السلطة بوصية من أبى بكر دون مشورة من المسلمين مما أدى إلى احتجاج الصحابة الذين صاح بعضهم فى وجه أبو بكر : أتولى علينا فظاً غليظ القلب .. (٤٠)

وقد اعترف عمر قائلاً : ألا أن بيعة أبى بكر كانت فلتة وقى الله الأمة شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه . فأيما رجل بايع من غير مشورة من المسلميين فإنهما تغرة أن يقتلا .. (٤١)

وقد حفلت فترة حكم عمر بكثير من ممارسات العنف فى مواجهة الرعية والولاة والمخالفين لسياسته بشكل عام . فهو قد تجاوز الكثير من النصوص الصريحة حين حرم زواج المتعة ومتعة الحج وأوقف نصيب المؤلفة قلوبهم وتسور البيوت وتجسس على الناس وشاطر العمال أموالهم ورفض تقسيم الأراضى على الفاتحين ورجم الحبلى والمجنونة والمضطرة ورفض أن يورث أحداً من الاعاجم وغير ذلك

---

(٣٨) انظر المرجع السابق وكتب التاريخ ..

(٣٩) البخارى باب فضل أبى بكر . وانظر فتح البارى شرح البخارى جـ ٧ ..

(٤٠) انظر طبقات ابن سعد ج ٣ / ١٩٩ / والطبرى ج ٣ ..

(٤١) انظر فتح البارى ج ٧ باب فضل أبو بكر وعمر وكتب التاريخ ..

من القضايا والممارسات التى تصدى له فيها الامام على .. [٤٢]

وفى عهد عثمان بلغ العنف أشده حين سيطرت العائلة الأموية على زمام الحكم وكثرت المظالم والمفاسد والانحرافات وتصدى الكثير من الصحابة لعثمان وولاته مما دفع به إلى البطش بهؤلاء الصحابة والتنكيل بهم ذلك الأمر الذى ولد ثورة عارمة فى المدينة أدت إلى مصرعه.. [٤٣]

وحين وصل الامام على إلى الحكم كان التيار المعادى له أقوى منه وكانت المؤامرات تتكاثر من حوله مما عرقل خططه الاصلاحية ودفع به إلى الخروج من المدينة واتخاذ الكوفة عاصمة له..

إن الامام على بوصوله للحكم شكل أكبر تهديد لأصحاب المصالح والنفوذ والمنافقين والقبليين . فهو قد وصل إلى الحكم عن طريق الجماهير وكان هذا أول صورة من صور الانتخاب الحر المباشر فى تاريخ الاسلام وهو من جانب آخر يحمل اسلام الرسول الذى يرفع شعار العدل والمساواة والحوار والاعتدال ..

وهو من جهة ثالثة كان ملاذاً للمستضعفين والموالى وأهل الذمة الذين وجدوا فى طرح الامام خلاصهم ونصرتهم والعدل والامن الذى ينشدونه ..

ولقد فتح الامام على باب الحوار مع الجميع وعلى رأسهم خصومه وأعدائه :

فتحه مع الخوارج ..

وفتحه مع عائشة وأصحابها ..

وفتحه مع معاوية ..

وإذا كان الامام على قد استطاع أن يقضى على الخوارج ويستأصلهم وينتصر على عائشة ويطوق فتنتها فإنه لم يتمكن من القضاء على معاوية وحزبه ذلك أن مقتله على يد أحد عناصر الخوارج قد فتح الطريق أمام معاوية ليحقق أحلامه فى السيطرة والحكم ..

وكان معاوية يفتقد إلى الشرعية فى صراعه مع الامام على كما كان يفتقد إلى المكانة الدينية والاجتماعية فلم يكن من الصحابة بل كان من الطلقاء ولم يكن له تاريخ أو دور فى مسيرة الاسلام . فمن ثم وبمجرد أن قتل الامام على لجأ إلى الترغيب والترهيب من أجل إضفاء المشروعية على نفسه ونظام حكمه ..

استخدم العنف مع أصحاب على وشيعته الذين رفضوا الاعتراف به وطاعته .. [٤٤]

---

(٤٢) انظر سنن البيهقى ج ٣ / ٢٤٥ . والدر المنشور للسيوطى ج ٢ / ١٣٣ . والاستيعاب فى معرفة الاصحاب هامش الاصابة ج ٣ / ٣٩ . وفتح البارى ج ٣ / ٦٩ . والرياض النضرة ج ٤ / ١٩٤ . والحاكم ج ٢ / ٥٩ ..

(٤٣) انظر سيرة عثمان فى كتب التاريخ . وانظر لنا كتاب السيف والسياسة ومن المعروف أن عثمان قام بنفى أبو ذر وهو أول نفى فى الاسلام بسبب الرأى . كما أعتدى على ابن مسعود وعمار بن ياسر

(٤٤) مثال ذلك قتله حجر بن عدى وأصحابه فى مرج عذراء لرفضهم التبرى من الامام على. انظر باب شهداء الرأى.

واستخدم الترغيب مع الآخرين وتمكن من استقطاب الكثير من خصوم علي ومن عناصر الدرجة الثانية من الصحابة أمثال أبو هريرة وابن عمر والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص وغيرهم ..

وبواسطة هؤلاء تمكن معاوية من اختراع صورة جديدة للاسلام استمدت شرعيتها من عمل الخلفاء الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان وروايات أبو هريرة وابن عمر وعائشة وغيرهم ..

صورة أتاحت له حكم المسلمين وفرض الملكية ..

وأتاحت له الخلاص من خصومه ..

وأتاحت له عزل الدين عن الحكم والسياسة ..

ولأول مرة تظهر في تاريخ الاسلام طبقة الحكام وطبقة الفقهاء .

ثانيا / الفقهاء

نشأت طبقة الفقهاء بمباركة حكام بني أمية وبني العباس فمن ثم هي استمدت مشروعيتها منهم وعملت من جانبها على إضفاء المشروعية عليهم ..

وقد اعتمد الفقهاء في تأسيس أطروحتهم على الروايات التي جمعت في العصر الأموي والعباسي كما اعتمدوا على أقوال الصحابة ومواقفهم وممارستهم . وبالتالي تبنوا خط العنف الذي تولد من خلال هذه المرحلة وأصبح سمة أطروحتهم ..

تبنوا نهج أبو بكر ومواقفه من مانعي الزكاة والمرتدين وآل البيت .. (٤٥)

وتبنوا نهج عمر ومواقفه .. (٤٦)

ودافعوا عن عثمان وبرروا انحرافاته وجعلوه شهيداً .. (٤٧)

وتبنوا معاوية واعتبروه صحابياً مجتهداً فقهياً وباركوا ولده الفاسق يزيد .. (٤٨)

---

(٤٥) يتبنى الفقهاء رواية أبو بكر التي واجه بها فاطمة حين طالبته بميراث أبيها وهي : إنا لا نورث وما تركناه صدقة . وجوزوا اقتل مانع الزكاة وقتاله وكذلك تارك الصلاة وتجنبوا خط آل البيت على أساس فعل أبي بكر .. كما تغاضوا عن تجاوزات حروب الردة ومنكرات خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويره المسلم ودخل بزوجته قبل العدة ..

(٤٦) اعتبر عمر مميزاً على بقية الصحابة حسب الروايات الواردة فيه حيث كان الوحي يتنزل على لسانه وإن الله كتب الحق على قلبه ولسانه كما يرون . وأنه مبشر بالعلم والاجتهاد من قبل الرسول فمن ثم فإن مواقف عمر وممارساته تعد تشريعاً في نظر الفقهاء .. انظر كتابنا نكاح المتعة حلال . وكتابنا الخدعة ..

(٤٧) انظر كتاب العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي وكتب التاريخ . وانظر لنا السيف والسياسة .

(٤٨) يعتبر الفقهاء معاوية كالامام علي كلاهما من الصحابة . وكلاهما مغفور له . وهم يضعون معاوية في زمرة فقهاء الصحابة والثابت أن الرسول لم يزكيه بل ذمه . انظر فتح الباري ج ٧ باب ذكر معاوية . وانظر لنا السيف والسياسة . وقد اختلف الفقهاء في أمر يزيد فمنهم من هاجمه ومنهم من أوجب لعنه والاكثرية لا يخوضون فيه وهناك من دافع عنه وأثنى عليه وهم فقهاء الشام وعلى رأسهم ابن كثير وابن تيمية . انظر البداية والنهاية وفتاوى ابن تيمية . والعواصم من القواصم والسيف والسياسة .

وفى الوقت نفسه تجنبوا نهج الامام على وشوهوا صورته .. [٤٩]

أما الروايات التى أخترعت لدعم خط الخلفاء والحكام والتى اعتمدوا عليها الفقهاء فى تبنى العنف فهى :

عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ .. [٥٠]

الناس تبع لقريش ولايزال هذا الأمر - الحكم - فى قريش مابقى منهم اثنان .. [٥١]

على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره .. [٥٢]

تسمع وتطيع للأمير وإن جلد ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع .. [٥٣]

من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة ثم مات مات ميتة جاهلية .. [٥٤]

من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان .. [٥٥]

من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه .. [٥٦]

من بدل دينه فاقتلوه .. [٥٧]

من حمل علينا السلاح فليس منا .. [٥٨]

بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له . وجعل رزقى تحت ظل رمحى . وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم .. [٥٩]

أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله . فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا

---

(٤٩) يدعى أهل السنة تمسكهم بسنة الخلفاء الراشدين فى حين أنهم يتمسكون بسنة الثلاثة دون على الذى يختلف عن الثلاثة بل ويصطدم بهم . والفقهاء ساروا فى ركاب بنى أمية وبنى العباس ولم يسيروا فى ركاب أئمة آل البيت أبناء الامام على الذين اتبعهم الشيعة . وهناك الكثير من الروايات التى يتبناها الفقهاء وتمثل طعناً فى الامام على مثل رواية زواجه من ابنه أبى جهل على فاطمة البخارى كتاب النكاح . ورواية سبه لعمه العباسى بسبب المال (جسد الترمذى) وانظر لنا كتاب الخدعة . ورواية جهل الامام على بأحكام النجاسات (أبو داود والترمذى وانظرلنا الخدعة والسيف والسياسة .) ويذكر أن أهل السنة لا يعتبرون الامام على شهيداً بل يبررون قتله باعتبار أن ابن ملجم قتله متأولاً

(٥٠) انظر مسند أحمد وأبو داود والترمذى .. أى قتله بمبرر شرعى . انظر المحلى لابن حزم والبيهقى

(٥١) انظر البخارى ومسلم وكتب السنن ..

(٥٢) البخارى ومسلم

(٥٣) رواه مسلم وانظركتب السنن ..

(٥٤) انظر أبو داود والترمذى والبيهقى والحاكم ..

(٥٥) انظر المراجع السابقة

(٥٦) انظر البخارى وكتب السنن ..

(٥٧) انظر كتب السنن والبخارى ..

(٥٨) انظر أبو داود والترمذى والنسائى ..

(٥٩) مسند أحمد والطبرانى ..

بحق الاسلام .. [٦٠]

من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .. [٦١]

وعلى أساس هذه الروايات وغيرها قنن الفقهاء فقه العنف فى مواجهة المخالفين للخط السائد على المستويين الحركى والفكرى ..

فكل رافض لنظام الحكم القائم أصبح مهدداً بفتاوى الاعدام ..

وكل صاحب رأى يخالف نهج الحكام والفقهاء أصبح زنديقاً مرتداً ..

وأصبح السيف هو شعار الاسلام لا الحكمة والموعظة الحسنة ..

يقول ابن رجب الحنبلى : والذى يظهر ان فى القرآن أربعة سيوف :

سيف على المشركين حتى يسلموا أو يؤسروا فإما مناً بعد وإما فداء ..

وسيف على المنافقين وهو سيف الزنادقة ..

وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ..

وسيف على أهل البغى ولم يسل الرسول (ص) هذا السيف فى حياته .. [٦٢]

وقال النووى : الزنديق هو الذى يعترف بالدين ظاهراً وباطناً لكنه يفسر بعض ما ثبت من الدين ضرورة بخلاف ما فسره الصحابة والتابعون واجمعت عليه الأمة .. [٦٣]

ومثل هذا التفسير لكلمة زنديق الذى صرح به النووى يشمل بالطبع الشيعة والمعتزلة وغيرهم من أصحاب الاتجاهات الذين خالفوا الخط السائد ويلزم الجميع بالتقيد بنهج أهل السنة - نهج الحكم - مثل هذا التفسير هو الذي برر إراقة دماء المئات من المسلمين أصحاب الرأى على مر التاريخ .. [٦٤]

إن أهل السنة يعتبرون أنهم جماعة الحق والفرقة الناجية من النار التى تسير على نهج الرسول فمن ثم تعد الممثل الشرعى الوحيد للاسلام . فمن اتبعها اتبع الاسلام . ومن خالفها خالف الاسلام وكان من الهالكين أصحاب النار .. [٦٥]

وعلى ضوء هذا المفهوم اعتبر أهل السنة كل من خالفهم هو فى حكم المبتدع الضال . ولماكانت القوى الحاكمة تتبنى نهجهم كان من السهل على فقهاء أهل السنة تحريض الحكام على المخالفين

---

(٦٠) انظر البخارى وكتب السنن ..

(٦١) مسند أحمد والطبرانى ..

(٦٢) الحكم الجديرة بالإذاعة (بعثت بالسيف بين يدى الساعة) لابن رجب الحنبلى ..

(٦٣) المرجع السابق

(٦٤) انظر لنا جريمة الرأى فى تاريخ المسلمين . وأهل السنة شعب الله المختار . والسيف والسياسة ..

(٦٥) انظر كتب العقائد مثل العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية لابن تيمية وانظر لنا أهل السنة شعب الله

وقتلهم بحجة الزندقة والردة وشق عصا الطاعة وخلافه .. [٦٦]

يقول الشاطبى نقلا عن أحد الفقهاء : إن السواد الأعظم .. الأغلبية .. هم الناجون من الفرق . فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق ومن خالفهم مات ميتة جاهلية سواء خالفهم فى شئ من الشريعة أو فى إمامهم - الحاكم - وسلطانهم فهو مخالف للحق .. [٦٧]

ويدخل فى الجماعة مجتهدو الأمة وعلماؤها وأهل الشريعة العاملون بها ومن سواهم داخلون فى حكمهم لأنهم تابعون لهم ومقتدون بهم . فكل من خرج عن جماعتهم فهم الذين شذوا وهم نهبة الشيطان .

ويدخل فى هؤلاء جميع أهل البدع لأنهم مخالفون لمن تقدم من الأمة لم يدخلوا فى سواهم بحال.. [٧٠]

ويتحدد مفهوم أهل السنة فى قول أحدهم : هم الذين أجتمعوا على السنة وأجمعوا عليها . واجتمعوا على الحق وعلى أئمتهم فجاء أسمهم ووصفهم مركباً من أهل السنة والجماعة . فهم أهل السنة حقاً الذين نقلوها وحفظوها وتمسكوا بها وهم الجماعة التى عناها الرسول .. [٦٩]

وعلى ضوء ما سبق حدد الفقهاء الخارجون عن مفهوم الجماعة فيمايلى :

- المبتدعة وأصحاب الاهواء والمحدثات فى الدين لعموم قوله (ص) : كل بدعة ضلالة ..

وقوله : لاتجتمع أمتى على ضلالة ..

وقوله : من أحدث فى أمرنا هذا ماليس فيه فهو رد ..

-اتباع الفرق كالقدرية والجهمية والمعتزلة والرافضة والخوارج وما تفرع عنهم . وكالفلاسفة والمتكلمين والصوفية وأصحاب الطرق ونحوهم ..

- الخارجون على السنة وأهل العلم ..

ويروى على لسان ابن عباس قوله فى تفسير قوله تعالى : (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) آل عمران (١٠٦)

قال : فأما الذين أبيضت وجوههم فأهل السنة والجماعة وأما الذين أسودت وجوههم فأهل البدع والضلالة [٧٠]

---

(٦٦) انظر باب شهداء الرأى ..

(٦٧) الاعتصام جـ ٢ ..

(٦٨) انظر المرجع السابق . وكتاب مفهوم أهل السنة والجماعة لناصر العقل ط القاهرة والسعودية ..

(٦٩) المرجعين السابقين ..

(٧٠) المرجعين السابقين وانظر الشرح والإبانة لابن بطة ..

وسئل سهل بن عبدالله التسترى : متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة .. ؟

فأجاب : إذا عرف عن نفسه عشرة خصال : لا يترك الجماعة ولا يسب الصحابة ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف ولا يكذب بالقدر ولايشك في الايمان ولا يمارى في الدين ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة ولا يترك المسح على الخفين ولا يترك الجماعة خلف كل وال جار أو عدل .. (٧١)

ويقول الاشعرى : لا يجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو في تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم .. (٧٢)

ويقول الطحاوى : وعلماء السلف من السابقين ومن بعدهم من التابعين أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر لا يذكرون إلا بالجميل ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل .. (٧٣)

ويقول ابن حنبل عن الصحابة : لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم . فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه . بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وجلده في المجلس حتى يتوب ويرجع .. (٧٤)

ويقول ابن كثير : من ظن بالصحابة ذلك - أى الانحراف بعد الرسول - فقد نسبهم بأجمعهم إلى الفجور والتواطئ على معاندة الرسول ومضادتهم في حكمه ونصه . ومن وصل من الناس إلى هذا المقام فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وكفر بإجماع الأئمة والاعلام وكان إراقة دمه أحل من إراقة المدام .. (٧٥)

ويقول ابن تيمية : جوز طائفة من أصحاب الشافعي وأحمد وغيرهما قتل الداعية إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وكذلك كثير من أصحاب مالك . وقالوا : إنما جوز مالك وغيره قتل القدرية لأجل الافساد في الأرض لا لأجل الردة .. (٧٦)

وقال ابن عبد البر : أهل الاهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام فكل متكلم فهو من أهل الاهواء والبدع أشعرياً كان أوغير أشعرى ولا تقبل له شهادة في الاسلام أبداً ويهجر ويؤدب على بدعته فإذا تمادى عليها استتيب منها .. (٧٧)

وقال الشاطبى : أهل السنة مأمورون بعدواة أهل البدع والتشريد بهم والتنكيل بمن انحاش إلى

---

(٧١) انظر مفهوم أهل السنة والجماعة ..

(٧٢) انظر عقيدة أهل السنة للأشعرى المسماة برسالة أهل الثغر ط القاهرة .

(٧٣) انظر العقيدة الطحاوية

(٧٤) انظر السنة وعقيدة أهل السنة . وانظر طبقات الحنابلة ..

(٧٥) البداية والنهاية جـ ٥ / ٢٥٢ ..

(٧٦) السياسة الشرعية في إصلاح الراعى والرعية ..

(٧٧) جامع بيان العلم ..

جهتهم بالقتل فما دونه . وقد حذر العلماء من مصاحبتهم ومجالستهم .. [٧٨]

ويقول ابن القيم : إن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها وهى أولى بذلك من اتلاف آلات اللهو والمعازف وإتلاف آنية الخمر فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ولاضمان فيها كما لاضمان فى كسر أوانى الخمر .. [٧٩]

وإذا كان هذا هو موقف الفقهاء من المخالفين فى دائرة الاسلام فكيف يكون موقفهم من غير المسلمين

ويقول ابن حنبل : إن من السنة أن تهدم الكنائس التى فى الامصار «المدن» القديمة والحديثة [٨٠]

وقال الشافعى : ولا يحدثوا بناء يطولون به على بناء المسلمين وأن يفرقوا بين هيئاتهم فى المركب والملبس وبين هيئات المسلمين وأن يعقدوا الزنار على أوساطهم .. [٨١]

وقال محمد بن الحسن : لا ينبغى ان تترك فى أرض العرب كنيسة ولا بيعة ولا يباع فيها خمر وخنزير مُصراً كان أو قرية .. [٨٢]

ويقول ابن تيمية : إن كل كنيسة فى مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وبغداد ونحوها من الامصارالتى مصرها المسلمون بأرض العنوة فإنه يجب إزالتها أما بالهدم أو غيره بحيث لا يبقى لهم معبد فى مصر مصره المسلمون بأرض العنوة وسواء كانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثه لأن القديم منها يجوز أخذه ويجب عند المفسدة .. [٨٣]

ويروى أحمد وأبو داود أن رسول الله (ص) قال : لاتكون قبلتان فى بلد واحد ..

ويروى أبو داود عن الرسول (ص) : من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله ..

ويروى أحمد : لا خصاء فى الاسلام ولا كنيسة ..

إن مثل هذه النصوص هى التى بنى الفقهاء على أساسها موقفهم من أهل الذمة ذلك الموقف الذى أرتبط بالحكام واعتبر أن أمان أهل الذمة وسلامهم إنما هو يرتبط بوجود الخليفة أو الامام الذى يمنحهم الامان فى مقابل دفعهم للجزية فى ظل دار الاسلام . وفى حالة دار الحرب حيث لا وجود للامام يصبح أهل الذمة لا أمان لهم ولا عصمة لدمائهم وأموالهم .. [٨٤]

---

(٧٨) الاعتصام جـ ٢ / ١٢٠ و٢٢٨ ..
(٧٩) الطرق الحكيمة ..
(٨٠) أحكام أهل الذمة لابن القيم ..
(٨٣) المختصر ..
(٨٤) أحكام أهل الذمة .. وانظر مجموع الرسائل والمسائل لابن تيمية . وأرض العنوة يقصد بها الأرض التى فتحت بالسيف .. ومثل هذا الموقف هو الذى اعتمدت عليه التيارات الاسلامية الجهادية فى استحلال أموال المسيحيين ودمائهم ..

ولقد تجلت أبرز صور العنف وأشدها في دائرة الحنابلة الذين ارتبطت بهم معظم الفتن والصدامات الدموية التي وقعت في تاريخ المسلمين ..

وكان ابن حنبل قد أفتى بكفر تارك الصلاة وعدم دفنه في مقابر المسلمين . كما أفتى بكفر من يقول بأن القرآن مخلوق ..

وقد دونت لنا كتب التاريخ الكثير من الفتن التي وقعت على يد الحنابلة في عام ٣١٧ هـ وعام ٣٢١ هـ وعام ٣٨٩ هـ وعام ٤٧٥ هـ ..

وكان الحنابلة يهاجمون الناس في الاسواق والنساء في الطرقات والفقهاء في المساجد بدعوى مقاومة البدع والمنكرات .. [٨٥]

أما في عصرنا الحالي فقد أغرق فقهاء الوهابية واقع المسلمين بكم هائل من الفتاوي التي أسهمت في نشر العنف وتوطيده فمن تكفير الشيعة والصوفية وتاركو الصلاة وعدم مناكحتهم وأكل طعامهم إلى تكفير الذي يسخر منهم ومن أفكارهم المريضة المتخلفة ..

تقول فتوى وهابية : من استهزأ ببعض المستحبات كالسواك والقميص الذي لا يتجاوز نصف الساق والقبض في الصلاة والشرب جالساً ونحوه مما ثبت حكمه بالسنة كفر بذلك لأنه بهذا يكون منتقصاً للرسول (ص) ولشرعه والنقص بذلك كفر أكبر .. (فتوى رقم ٥٢١٣ / لجنة الفتوى بالسعودية)

وتمثل كتب العقائد التي اخترعها أهل السنة مثل كتاب العقيدة الطحاوية والعقيدة النسفية والعقيدة الواسطية والعقيدة الحموية أشد صور العنف والارهاب الفكري فهذه الكتب تحوي نصوصاً ارهابية تطوق العقل المسلم وترهبه وتكبله بأغلال الماضي [٨٦]

ثالثاً / الحكام

منذ وفاة الرسول (ص) وحتى اليوم لعب الحكام دوراً بارزاً في دعم العنف وتوطينه بين المسلمين بطرق مباشرة وغير مباشرة ..

وكانت الصورة القبلية للحكم التي فرضها الخلفاء الثلاثة : أبو بكر وعمر وعثمان على الأمة هي التي تولدت منها كل صور العنف التي واكبت تاريخ المسلمين وهي الصورة التي اعتمد عليها الفقهاء

---

(٨٥) وهذا الموقف عليه جمهور الفقهاء أيضاً . انظر كتب الفقه . أما مسألة كفر القائل بأن القرآن مخلوق فقد تفرد بها ابن حنبل لكونه أوذي بسببها من قبل المأمون الذي وقف بجانب المعتزلة الذين يقولون بأن القرآن مخلوق .. انظر ترجمة بن حنبل في تاريخ الإسلام للذهبي .. وانظر تاريخ الخلفاء للسيوطي والكامل لابن الأثيرحوادث عام ٣٢١هـ . وتاريخ الإسلام للذهبي حوادث عام ٣٩٨ هـ وكان الحنابلة يهاجمون أحياء الشيعة ومتاجرهم ويحرقونها وقد أصدر صاحب الشرطة قراراً حينئذ بالتفريق بين الحنابلة وعدم مرورهم جماعات في الطرقات ..

(٨٦) أنظر لنا أهل السنة شعب الله المختار . وكتاب العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف ..

في تقنين العنف وإضفاء المشروعية عليه فقد أصبحت مواقف وممارسات الخلفاء الثلاثة سنة يعض عليها بالنواجذ كما أشار الحديث المنسوب للرسول الذى ذكرناه سابقاً ..

ولقد كان معاوية أول من سن قطع الرقاب في الاسلام

وأول من سن نهج الدعاية والتعتيم على خصومة ومعارضيه

وأول من فرض السب واللعن على المنابر بسبه الامام وتشويه آل البيت

وكل هذه الممارسات التى أعانه عليها كثير من الصحابة الذين تحالفوا معه - تعد أشد صور العنف الحركى والفكرى عبر تاريخ المسلمين والتى التزم بها الحكام من بعده ووجدوا من الفقهاء العون والشرعية ..

ومعاوية إنما هو صناعة عمر بن الخطاب فهو الذى باركه ووطنه فى الشام على الرغم من معرفته التامة به وكونه من الطلقاء وليس له باع فى الاسلام ومطامعه لاتخفى .. (87)

وجاء يزيد الذى فرضه معاوية على الأمة وباركه الفقهاء والصحابة حلفاء معاوية فارتكب من المفاسد والمذابح الوحشية ما يعجز القلم عن وصفه .. (88)

ثم جاء من بعده بنو مروان فأعملوا السيف فى الأمة وقتلوا أصحاب الرأى واضطهدوا الموالى وغيرَ المسليمن وتحولوا إلى جباة يكنزون الأموال بالسيوف ..

وبرز الحجاج من وسطهم فارتكب من المذابح ماتقشعر له الأبدان حتى أصبح وصمة عار فى تاريخ المسلمين دفعت ببعض الفقهاء إلى تكفيره ..

وقد حاول عمر بن عبد العزيز أن يصلح ما أفسده سابقوه ويضع الحق فى نصابه ويرد المظالم ويمنع العنف إلا أن القدر لم يمهله فمات بعد فترة قصيرة من توليه الحكم ودارت دائرة العنف بالمسلمين من جديد ..

ولقد جاء العباسيون من بعد - وهم الذين جمعت الروايات وقنن الفقه فى عصرهم - فساروا على نهج الأمويين فى ممارسة العنف على الرعية والبطش بالمخالفين واستئصال خط آل البيت وقتل أئمته ومن تشيع لهم . وقد كان العباسيون أشد عنفاً وبطشاً بالشيعة من الأمويين وهو ما تشهد به كتب التاريخ ..

وليس من السهل تتبع ممارسات العنف التى ارتبطت بالحكام على مر التاريخ فهى أكثر من أن

(87) أنظر كتابنا السيف والسياسة . وانظر ترجمة معاوية فى كتاب الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ..

(88) انظر كتابنا السيف والسياسة . وانظر ترجمة معاوية فى الاصابة فى تمييز الصحابة وكتب التاريخ . وكان عمر قد منع نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة وبالتالى ارتفع معاوية وأبيه اللذين كانا يحصلان على نصيب من الزكاة ضمن المؤلفة الذين أطلقهم الرسول (ص) بعد فتح مكة .. ارتفعا إلى مرتبة المسلمين . وكان عمر قد زار الشام ورأى معاوية فى أبهة الملك فلم ينكر عليه . انظر تاريخ الخلفاء

تحصى إلا أن ممارسات دولة الأيوبيين ودولة المماليك ثم دولة العثمانيين تحتاج إلى وقفات لا يتسع لها هذا المجال ..

فحين استولى صلاح الدين على مصر ذبح آلاف الشيعة وارتكب الكثير من المجازر الدموية وفرض على مصر مذهب الشافعي في الفقه والاشعري في الاعتقاد .. (٨٩)

وبفتوى لابن تيمية أباد المماليك أهل كراوان عن بكرة أبيهم بحجة فساد عقائدهم وتعاونهم مع الصليبين .. (٩٠)

وعلى أبواب القاهرة ذبح العثمانيون آلاف المصريين حين دخلوها بعد انتصارهم على المماليك وأخذ سليم الاول الصناع والحرفيين أسارى إلى بلاده .. (٩١)

وفي العصر الحديث ارتكبت الدولة السعودية عشرات المذابح تحت لواء الدعوة الوهابية وبحجة نشر التوحيد والقضاء على الشرك .. (٩٢)

لقد بعثت الدولة السعودية فكر الحنابلة وفتنهم بداية من ابن حنبل حتى ابن تيمية ذلك الفكر الذى حمل لوائه محمد بن عبد الوهاب وتم فرضه على المسلمين في جزيرة العرب بقوة السيف وفرضه على المسلمين خارجها بقوة النفط .. (٩٣)

وكان نتيجة الاختراق النفطي للمؤسسات والتيارات الاسلامية أن تشبعت الحركات الاسلامية بفكر الحنابلة خاصة فكر ابن تيمية متبنية نهج العنف الفكري والحركي الذى يتميز به هذا الفكر

---

(٨٩) انظر تفاصيل مذبحة كربلاء في كتب التاريخ . ووقعة الحرة بعد ها حين عصت المدينة يزيد فغزاها جيشه واستباحها ثلاثة أيام وقتل الشيوخ والصبيان وحملت ألف إمرأة سفاحاً

(٩٠) انظر تاريخ المقريزى وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس ووفيات الاعيان لابن خلكان والكامل والنجوم الزاهرة ترجمة العاضد آخر خلفاء الفاطميين واستيلاء صلاح الدين على حكم مصر بعد أن غدر بالعاضد وأحداث عام ٥٦٧ هـ وثورات المصريين الشيعة ضد صلاح الدين وإحراقه نفائس الكتب في دار الحكمة وإغلاقه جامع الأزهر وإعدامه الشاعر عمارة اليمني . وقد أعرب الكثير من فقهاء السنة عن فرحتهم بسقوط الدولة الفاطمية الشيعية وهلاك الشيعة في مصر واعربوا عن تأييدهم لصلاح الدين ومباركتهم له . وألف القاضي بهاء الدين الشافعي كتاباً أسماه (النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية) وألف السيوطي كتاباً أسماه (كشف ما كان عليه بنو عبيد - الفاطميين - من الكفر والكذب والمكر والكيد . وألف ابن الجوزى كتاباً أسماه (النصر على مصر) ويذكر أن السيوطي رفض ان يؤرخ للفاطميين في كتابه تاريخ الخلفاء . انظر كتابنا الشيعة في مصر من الإمام على حتى الامام الخميني ..

(٩١) انظر أحداث عام ٧٠٥ هـ في كتب التاريخ . ويذكر أن منطقة كسروان تحولت إلى منطقة مسيحية منذ ذلك الحين في جبل لبنان ..

(٩٢) انظر تفاصيل الغزو العثماني لمصر في تاريخ المقريزى ..

(٩٣) انظر تاريخ الدعوة الوهابية ومذابح العلماء والإشراف في الحجاز وقد كفرت الدعوة الوهابية المسلمين وأباحت دمائهم وأموالهم خاصة الصوفية والشيعة الذين يتبنون مسألة التوسل بالأموات من آل البيت والأضرحة والاحتفالات الدينية التي تعد صورة من صور الشرك والزندقة في نظر الوهابيين الحنابلة . أنظر لنا كتاب فقهاء النفط . وانظر كشف الارتياب في اتباع محمد بن عبد الوهاب والوهابية في الميزان ..

وبالتالى بدأت تطبيقات هذه الحركات ومواقفها وممارساتها تتحول إلى نسخة عصرية من فتن الحنابلة فى بعداد وغيرها .. [٩٤]

إن تبنى الحكام نهج العنف فى مواجهة الاتجاهات الاسلامية المخالفة على مستوى الماضى والحاضر وتحالف الفقهاء معهم قد دفع هذه الاتجاهات دفعاً نحو العنف وأسهم فى ولادة الكثير من التيارات الجهادية والتكفيرية التى رفعت شعارات دموية واستحلالية فى مواجهة المجتمع ..

من هنا يمكن القول أن مسئولية نشأة العنف فى تاريخ المسلمين إنما يتحملها الحكام أولا ثم الفقهاء ثانياً . مع الإشارة إلى أن حكام العصر لازالوا يلعبون نفس الدور الذى كان يلعبه حكام الماضى وكذلك الفقهاء . فمن ثم فإن مشكلة العنف لا يمكن حلها دون أن تعيد الحكومات المعاصرة النظر فى سياساتها تجاه التيار الاسلامى والرأى الآخر بشكل عام . ودون أن يتخلى الفقهاء عن موروثات الماضى وتحالفهم مع هذه الحكومات ..

ومماسبق نخرج بالنتائج التالية :

إن مسألة العنف تبعث من خلال خمسة أمور :

١ - الخلفاء الثلاثة ..

٢ - الروايات ..

٣ - الفقهاء ..

٤ - الحكام ..

٥ - رد الفعل ..

وإن معالجة مسألة العنف لن يتحقق دون معالجة هذه الأمور

***

---

(٩٤) انتشرت الكتب الوهابية بين المسلمين فى كل بقاع العالم الإسلامى بفضل السعودية التى تدعم هذه الكتب وتوزعها مجاناً وقد أسهمت هذه الكتب فى إحياء الخط الحنبلى خاصة خط ابن تيمية المتشدد ذلك الخط الذى تستمد منه الدعوة الوهابية أفكارها وتصورها . وطبعت فتاوى ابن تيمية (٣٧) جزء على نفقة خادم الحرمين وتوزع مجاناً .. وكان لهذه الكتب الدور الأكبر فى نمو العنف بين المسلمين وبروز تيارات الجهاد والتكفير وغيرها . ويذكر أن محمد عبد السلام صاحب كتاب الفريضة الغائبة الذى دبر اغتيال السادات قد استمد أفكاره الجهادية من ابن تيمية والحنابلة الذين اكتظ كتابه بأفكارهم .. انظر لنا الحركة الإسلامية فى مصر وانظر أهل السنة شعب الله المختار .

سلاح الرواية

عماد الحكام والفقهاء ..

يعتمد خصوم الرأى على مر تاريخ المسلمين على الرواية كسند شرعى فى مواجهة أصحاب الرأى الذين كانت لديهم القدرة على المناورة والدفاع عن رأيهم وأطروحتهم فى حدود النص القرآنى . أما فى مواجهة الرواية فقد عدمت هذه القدرة لصراحة هذه الروايات وقطعيتها ..

ولقد ظلت الرواية سند الحكام والفقهاء فى مواجهة الرأى والتيارات المعارضة التى ذهبت هى وعناصرها ضحية لهذه الروايات ..

من هنا فإن قضية الصراع بين الرأى والنص لن يتم حسمها فى ظل الروايات التى لا تتيح فرصة للرأى الآخر وبدا وكأنها اخترعت لهذا الغرض ...

إن الأصل فى الروايات المناهضة للرأى أنها اخترعت من قبل جهة محددة أو تيار واحد هو ذلك التيار الذى ساد واقع المسلمين منذ وفاة الرسول (ص) . فمن ثم فإن هذه الروايات إنما وجدت لخدمة هذا التيار ودعمه وإضفاء المشروعية عليه وإذا كان هذا هو السبب المباشر لاختراع هذه الروايات فمن الطبيعى أن تكون مناهضة للآخرين وتسد جميع النوافذ فى وجوههم ..

وهذا مايبدو بوضوح من خلال رصد حركة مناهضة الرأى والتيارات الأخرى على مر التاريخ . أن المواجهة كانت تقوم على أساس هذه الروايات وإن من سقطوا صرعى بسيوف الحكام وفتاوى الفقهاء إنما استبيحت دماؤهم على أساسها ..

وما يبدو بوضوح أيضاً أن القرآن نحى جانباً فى خلال تلك الفترة وطغت عليه الروايات وأصبح لا وجود هناك للرأى الآخر الذى يتسلح بكتاب الله والعقل والرواية الصحيحة التى لا تصطدم بهما والتى ضربت هى أيضاً خوفاً من التشويش والبلبلة وتعرية الخط السائد ..

إن المعروف تاريخياً إن هناك خطان بارزان كانا فى حياة الرسول (ص) :

الأول خط المنافقين والقبليين ..

الثاني خط الصحابة والمؤمنين .

ولقد ساد الخط الأول بعد وفاة الرسول وتم ضرب الخط الثاني وصدر قرار بمنع تداول الروايات طوال فترة الخلفاء الثلاثة وكان الهدف من ذلك هو حجب الرؤية عن الأجيال الجديدة من التابعين وغيرهم ممن لم يعاصر الرسول إلا فترة وجيزة لم تتح له فرصة هضم حقيقة هذا الدين وأبعاده ..

وجاء عثمان فاصدر قراره بحرق المصاحف التي في أيدي الصحابة من أجل تطويق الرأى الآخر وضربه إذ أن هذه المصاحف التي أحرقت كانت تحوى علم الرسول وتفسيره لنصوص القرآن حسماً للفتنة والخلاف . وبإحراقها تم إلزام الأمة بأقوال الرجال ورواياتهم التي حلت محل علم الرسول من أولئك الذين سايروا هذا الوضع وباركوه صحابة وتابعين

وفترة الخلفاء من الفترات التي كان يصعب فيها تزوير الروايات باسم الرسول (ص) لأن كبار الصحابة وقادة الخط المضروب كانوا على قيد الحياة وعلى رأسهم الإمام على . فمن ثم فإن التزوير والتحريف بدأ مع عصر عثمان وأخذ وضعه على يد معاوية فيما بعد - ولعل - هذا يكشف لنا الهدف من وراء منع الخلفاء الثلاثة تداول الرواية في عصرهم ..

- السند والرأى ..

وإن المتتبع لتاريخ الروايات وأسانيد هايتبين له أن هذه الروايات واهية من جهة المتن ومن جهة السند . وكان يمكن لها أن تندثر ولا يكون لها وجود لو قدر لها أن تدخل في معركة عادلة مع خصومها . إلا أن مساندة القوى الحاكمة لها بالإضافة إلى الفقهاء الذين ساروا في ركابها هو الذى مكن لها ومنحها الديمومة والانتشار وسوف نعرض هنا لنماذج من نصوص فقهاء الرواية أو من يطلق عليهم علماء الحديث حول سند الرواية وصلاحية سلسلة الرواة كي تتضح لنا الصورة ويظهر لنا مدى تحيز هؤلاء الفقهاء لتيار محدد من الرواة وعزل ما سواه عن عالم الرواية خدمة للخط السائد ..

يقول ابن حنبل : لا أروى عن أهل الرأى .. [1]

وجاء في ترجمة محمد بن عبدالله بن المثنى الانصارى قول ابن حجر : من قدماء شيوخ البخارى . ثقة وثقة ابن معين وغيره . قال أحمد ما يضعه عند أهل الحديث إلا النظر في الرأى .. [2]

وفي ترجمة الوليد بن كثير المخزومي يقول ابن حجر : وثقة إبراهيم بن سعد وابن معين وأبو داود وقال الساجي : قد كان ثقة ثبتاً يحتج بحديثه . لم يضعفه أحد إنما عابوا عليه الرأى .. [3]

---

(١) انظر الرفع والتكميل في الجرح والتعديل ص ٨٤ نقلا عن المغنى للذهبي ج ٢ ، ٦٧ ..

(٢) هدى السارى مقدمة فتح البارى شرح البخارى لابن حجر وانظر الرفع والتكميل ص ٨٤ ..

(٣) المرجع السابق وانظر الرفع ص٨٤

وقال الذهبي عن معلى بن منصور الرازي : أمام مشهور موثق . قال أبو داود : كان أحمد لا يروى عنه للرأى .. [4]

وجاء عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قوله : أصحاب الرأى لا يروى عنهم الحديث .. [5]

وقال القاضى أبى يعلى : وهذا محمول على أهل الرأى من المتكلمين كالقدرية ونحوهم [6]

وقال جمال الدين القاسمى : وقد تجافى أرباب الصحاح الرواية عن أهل الرأى . فلا تكاد تجد اسماً لهم فى سند من كتب الصحاح أو المسانيد أو السنن كالإمام أبى يوسف والإمام محمد بن الحسن فقد لينهما أهل الحديث كما ترى فى (ميزان الاعتدال) ولعمرى لم ينصفوهما وهما البحران الزاخران . وآثارهما تشهد بسعة علمهما وتبحرهما بل بتقدمهما على كثير من الحفاظ وناهيك كتاب (الخراج) لأبى يوسف (وموطأ الإمام محمد) وإن كنت أعد ذلك فى البعض تعصباً . إذ يرى المنصف عند هذا البعض من العلم والفقه ما يجدر أن يتحمل عنه ويستفاد من عقله وعلمه . ولكن العصبية

ولقد وجد لبعض المحدثين تراجم لأئمة أهل الرأى يخجل المرء من قراءتها . فضلاً عن تدوينها . وما السبب إلا تخالف المشرب . على توهم التخالف ورفض النظر فى المآخذ والمدارك التى قد يكون معهم الحق فى الذهاب إليها . فإن الحق يستحيل أن يكون وقفاً على فئة معينة دون غيرهما . والمنصف من دقق فى المدارك غاية التدقيق ثم حكم ..

نعم كان ولع جامعي السنة بمن طوف البلاد واشتهر بالحفظ والتخصص بعلم السنة وجمعها وعلماء الرأى لم يشتهروا بذلك وقد أشيع عنهم أنهم يحكمون الرأى فى الأثر وإن كان لهم مرويات مسندة معروفة .. [7]

ويروى عن ابن حنبل قوله : مازلنا نلعن أهل الرأى ويلعنوننا حتى جاء الشافعى .. [8]

وقال الذهبى فى ترجمة الحارث المحاسبى (ت ٢٤٣هـ) : المحاسبى العارف صاحب التصانيف التآليف صدوق فى نفسه . وقد نقموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه .. [9]

ونقل الخطيب البغدادى عن المحاسبى أيضاً : أن ابازرعة الرازى سئل عن الحارث وكتبه . فقال للسائل : إياك وهذه الكتب . هذه كتب بدع وضلالات . عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك عن هذه الكتب .. [10]

---

(٤) الرفع ص ٨٤ نقلا عن المغنى .. وانظر تهذيب لابن حجر ح ١٠/ ٢٣٨ وتذكرة الحفاظ للذهبى ج ١ /٣٧٧

(٥) مسودة ابن تيمية فى أصول الفقه ص ٢٦٥ وانظر الرفع ص ٨٤ .

(٦) المرجع السابق ..

(٧) الجرح والتعديل ص ٢٤ . وميزان الاعتدال كتاب خاص برجال الاسانيد للذهبى . وموطأ الامام محمد هو موطأ مالك برواية محمد بن الحسن الشيبانى ..

(٨) انظر الرفع والتكميل فى الجرح والتعديل ص ٨٨

(٩) ميزان الاعتدال ج ١ / ١٩٩ ..

(١٠) تاريخ بغداد ج ٨ / ٢١٥ .. والأثر هنا يعنى الروايات ..

ويقول مسلم : فأما ما كان منها - أى الروايات - عن قوم هم عند أهل الحديث متهمون أو عند الأكثر منهم فلسنا نتشاغل بتخريج حديثهم كمحمد بن سعيد المصلوب وعبد القدوس الشامى وغياث بن إبراهيم وسليمان بن عمر وعبدالله بن مور وعمرو بن خالد .. [١١]

ويقول : والواجب أن يتقي منها ما كان منها عن أهل التهم والمعاندين من أهل البدع .. [١٢]

ويقول النووى على لسان المحدثين والفقهاء وأصحاب الأصول : المبتدع الذى يكفر ببدعته لا تقبل روايته بالاتفاق وأما الذى لا يكفر بها فاختلفوا فى روايته . فمنهم من ردها مطلقاً لفسقه ولا ينفعه التأويل . ومنهم من قبلها مطلقاً إذا لم يكن ممن يستحل الكذب فى نصرة مذهبه أو لأهل مذهبه سواء كان داعية إلى بدعته أو غير داعية .. ومنهم من قال تقبل إذ لم يكن داعية إلى بدعته ولا تقبل إذا كان داعية وهذا مذهب كثيرين .. [١٣]

ويروى مسلم عن شيعة على ابن أبى طالب عن أبى اسحق قال : لما احدثوا تلك الأشياء بعد على قال رجل من أصحاب على قاتلهم الله أى علم أفسدوا .. [١٤]

ويعلق النووى على هذه الرواية بقوله : أشار بذلك إلى ما أدخلته الروافض والشيعة فى علم على وحديثه وتقولوه عليه من الأباطيل وأضافوه إليه من الروايات والأقاويل المفتعلة والمختلقة وخلطوه بالحق فلم يتميز ما هو صحيح عنه مما اختلقوه . وأما قوله قاتلهم الله قال القاضى : معناه لعنهم الله وقيل باعدهم وقيل قتلهم .. [١٥]

وهذه الرواية بالإضافة إلى تبرير وتأويل النووى والقاضى الهدف منها ضرب خط الإمام على والطعن فى شيعته ورواياتهم ..

ويروى مسلم عن ابن سيرين قوله : لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم .. [١٦]

ويروى مسلم عن عبدالله بن المبارك قوله على رؤوس الناس دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كان يسب السلف .. [١٧]

ويحدد لنا ابن حجر الاتجاهات المنبوذة من قبل رواة الأحاديث والفقهاء وهى منبوذه أيضاً من قبل الحكام وهؤلاء جميعهم قد ضعفوا بسبب آرائهم ومعتقداتهم : المرجئة والأرجاء بمعنى التأخير وهو

---

(١١) مسلم بشرح النووى . المقدمة ..
(١٢) المرجع السابق ..
(١٣) المرجع السابق .
(١٤) المرجع السابق ..
(١٥) المرجع السابق ..
(١٦) المرجع السابق ..
(١٧) المرجع السابق ..

عندهم على قسمين : منهم من أراد به تأخير القول في الحكم في تصويب إحدى الطائفتين الذين تقاتلوا بعد عثمان . ومنهم من أراد به تأخير القول في الحكم على من أتى الكبائر وترك الفرائض بالنار لأن الإيمان عندهم الإقرار والاعتقاد ولا يضر العمل مع ذلك . والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غال في تشيعه . ويطلق عليه رافضي . وإلا فشيعي فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فغال في الرفض وإن أعتقد الرجعة في الدنيا فأشد في الغلو . والقدرية من يزعم أن الشر فعل العبد وحده . والجهمية من ينفي صفات الله تعالى التي أثبتها في الكتابة والسنة . ويقول أن القرآن مخلوق . والنصب بغض علي وتقديم غيره عليه . والخوارج الذين انكروا على علي التحكيم وتبرءوا منه ومن عثمان وذريته وقاتلوهم فإن أطلقوا تكفيرهم فهم الغلاة منهم . والاباضية اتباع عبد الله بن إباض والقعدية الذين يزينون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك . والواقف في القرآن من لا يقول مخلوق ولا ليس بمخلوق .. [١٨]

ويتبين لنا من خلال كلام ابن حجر ان هناك تسعة اتجاهات منبوذة من قبل الخط السائد المسمى بأهل السنة وهي :

المرجئة ، الشيعة .. [١٩] ، القدرية .. [٢٠] ، الجهمية [٢١] ، النواصب .. [٢٢]
الخوارج .. [٢٣] ، الاباضية .. [٢٤] ، القعدية .. [٢٥] ، الواقفية .. [٢٦]

---

(١٨) هدى الساري . فصل في تميز أسباب الطعن ومن يصلح للاحتجاج به ومن لا يصلح ومن ضعف بسبب الاعتقاد..

(١٩) هذا التعريف الذي نطق به ابن حجر بخصوص الشيعة فيه قصور وهو يعكس نظرة أهل السنة الاحادية والمعادية للآخرين والشيعة لا يختلفون حول أحقية علي بالإمامة وتقديمه على الخلفاء الثلاثة وكونه وصي الرسول (ص) ..

(٢٠) أهل السنة كما هو واضح من معتقداتهم ينسبون الشر إلى الله فمن ثم اعتبروا القدرية أهل زيغ وبدعة لانحرافهم عن عقائدهم . انظر مقالات الإسلاميين للأشعري وكتب العقائد ..

(٢١) ينسب هذا الاتجاه إلى الجهم بن صفوان الذي نادى بتحكيم العقل في الروايات الخاصة بصفات الله وضرورة تأويلها أو رفضها . انظر باب شهداء الرأي .

(٢٢) رغم تبني أهل السنة هذا الرأي بخصوص خصوم علي وآل البيت فإن حالهم وعقائدهم وواياتهم تنطق بعكس ذلك ويكفي مناصرتهم لمعاوية وولده يزيد ..

(٢٣) أهل السنة لم يعادوا الخوارج لكونهم خرجوا على علي وانما يعادونهم لمنابذتهم عثمان ومعاوية وبني أمية وتبنيهم فكرة الخروج على الحكام المنبوذة من قبلهم . وقد روى البخاري وكتب السنة لكثير من الخوارج . انظر هدى الساري ..

(٢٤) هي فرقة من فرق الخوارج ولايزال لها وجود حتى اليوم وتمثل الاتجاه السائد في عمان ومسقط اليوم ..

(٢٥) موقف أهل السنة من هذا الاتجاه ينبع من معاداتهم لفكرة الخروج على الحكام على أساس روايات الطاعة والاستسلام التي يتبنوها والتي أصبحت جزءاً من عقيدتهم انظر كتب العقائد لدى أهل السنة مثل العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية ..

(٢٦) وهذا الاتجاه منشق على المعتزلة . وما ينبغي ذكره هنا هو أن هذه التقسيمات والاتجاهات قد برزت في مواجهة الحنابلة الذين رفعوا راية الروايات وسموا أنفسهم أهل الحديث واعتبروا أنفسهم الفرقة الناجية وهم أول من أعلن الحرب على المعتزلة والواقفية بسبب فكرة خلق القرآن التي يرفضها ابن حنبل بشدة ويكفر من يقول بها وقد شمل هذا الحكم الواقفية أيضاً .. أنظر الرد على الجهمية والزنادقة لابن حنبل ط السعودية . وعقيدة أهل السنة له أيضاً .. وأنظر لنا كتاب أهل السنة شعب الله المختار ..

والمعتزلة وهو الاتجاه الذى لم يشر إليه ابن حجر مشمول فى داخل هذه الاتجاهات التى تتبنى الكثير من مواقفه وعلى رأسها تحكيم العقل فى الروايات والقول بخلق القرآن ونقد بعض الصحابة . فمن ثم هى ينطبق عليها نفس حكمهم ..

ويقول ابن حجر عن ثور بن زيد الديلى مولاهم المدنى شيخ مالك وثقة ابن معين وأبو زرعة والنسائى وغيرهم وقال ابن عبد البر صدوق لم يتهمه أحد وكان ينسب إلى رأى الخوارج والقول بالقدر ولم يكن يدعو إلى شئ من ذلك .

وفى الميزان للذهبى اتهمه ابن البرقى بالقدر ولعله شبه عليه بثور بن يزيد . قلت - أى ابن حجر - لم يتهمه ابن البرقى ولم يشتبه عليه وإنما حكى عن مالك أنه سئل كيف رويت عن داود بن الحصين وثور بن زيد وذكر غيرهما وكانوا يرون القدر . فقال : كانوا لأن يخروا من السماء إلى الأرض أسهل عليهم من أن يكذبوا .. (٢٧)

وهذا الكلام إنما يؤكد لنا أن القوم من أصحاب الاتجاه السائد انما حصنوا أنفسهم بستر من حديد كى لا ينفذ إلى عالمهم أى من أصحاب الرأى أو الاتجاهات الأخرى ويروى عنهم مالا يريدون .

وعن ثور بن يزيد الحمصى ينقل ابن حجر : اتفقوا على تثبته فى الحديث مع قوله بالقدر قال دحيم ما رأيت أحداً يشك أنه قدرى . وقال يحيى القطان ما رأيت شامياً أثبت منه وكان الأوزاعى وابن المبارك وغيرهما ينهون عن الكتابة عنه . وكان الثورى يقول خذوا عنه واتقوا لا ينطحكم بقرنية يحذرهم من رأيه وقدم المدينة فنهى مالك عن مجالسته .. (٢٨)

وعن خالد بن مخلد القطوانى الكوفى أبو الهيثم من كبار شيوخ البخارى . قال العجلى : ثقة فيه تشيع . وقال ابن سعد : كان متشيعاً مفرطاً وقال صالح جزرة ثقة إلا أنه كان متهماً بالغلو فى التشيع . وقال أحمد ابن حنبل : له مناكير . وقال أبو داود : صدوق إلا أنه يتشيع . وقال أبو حاتم : يكتب حديثه ولا يحتج به .. (٢٩)

وعن داود بن الحصين المدنى قال الساجى : منكر الحديث متهم برأى الخوارج .. (٣٠)

وعن ذر بن عبدالله الموهبى أبو عمرو الكوفى قال أبو داود كان مرجئاً وهجره إبراهيم النخعى وسعيد بن الجبير لذلك .. (٣١)

وعن زكريا بن اسحق المكى قال يحيى بن معين كان يرى القدر وأخبرنا روح بن عبادة قال : رأيت

---

(٢٧) هدى السارى . الفصل التاسع فى سياق أسماء من طعن فيه من رجال البخارى .. حرف الثاء .
(٢٨) المرجع السابق حرف الثاء .
(٢٩) المرجع السابق حرف الخاء .
(٣٠) المرجع السابق حرف الدال .
(٣١) المرجع السابق حرف الذال .

منادياً ينادي بمكة أن الأمير نهى عن مجالسة زكريا لأجل القدر .. [٣٢]

وعن سعيد بن عمرو بن أشوع الكوفي عن الفقهاء قال فيه أبو اسحق الجوزجاني كان زائغاً غالياً في التشيع .. [٣٣]

وعن سلام بن مسكين الأزدي البصري قال أبو داود : كان يذهب إلى القدر .. [٣٤]

وعن شبابة بن سوار أبو عمرو المدائني قال أحمد بن حنبل : كتبت عنه شيئاً يسيراً قبل أن أعلم أنه يقول بالارجاء . وقال ابن عدى : أنما ذمه الناس للارجاء وقالوا يكتب حديثه ولا يحتج به .. [٣٥]

المتن والرأى ..

ومثلما وقف الفقهاء في مواجهة أصحاب الرأى والاتجاهات : الأخرى وعزلوهم عن الرواية والنقل اتخذوا نفس الموقف في مواجهة متون الروايات . فهم قد حظروا أى صورة من صور النقد حول هذه المتون . وبالطبع هذا الحظر إنما هو موجه إلى من هم خارج دائرة الخط السائد من الاتجاهات الأخرى إذ أن النقد أو الشك لن يأتي بحال من داخل التيار السائد ..

لقد أدرك الفقهاء أن فتح باب نقد الروايات سوف تكون نتيجته المحتمة هي هدم هذه الروايات وزوالها ..

من هنا فقد تم اختراع عدة قواعد بهدف تحصين الروايات وابعادها عن دائرة الشك :

القاعدة الأولى : عدالة جميع الصحابة . فمن ثبتت صحبته ثبتت عدالته فلا يجوز تجريحه أو الشك في نقله وانما يتجه النقد والتجريح للناقل عنه من التابعين أو تابعي التابعين . وفي كلتا الحالتين : إذا اختلف في صحبة الراوى وحاصر الشك الناقل عنه لا يجوز أن يتجه النقد إلى متن الرواية .. [٣٦]

القاعدة الثانية : ان نقد الرواية ينحصر في حدود السند فقط ولايجوز أن يمتد إلى المتن بحال حتى ولو كان يصطدم بالقرآن والعقل صراحة .. [٣٧]

القاعدة الثالثة : ان ضرب الاتجاهات الأخرى أفسح الطريق أمام أهل السنة كي يسودوا وينتشروا

---

(٣٢) المرجع السابق حرف الزين .
(٣٣) المرجع السابق حرف السين .
(٣٤) المرجع السابق
(٣٥) المرجع السابق حرف الشين .
(٣٦) يعتبر أهل السنة كل من رأى الرسول أو ولد في حياته أو مكث معه ولو ساعة هو صحابي . وبهذا التعريف تم إدخال كل من هب ودب في مفهوم الصحبة وحاز على درجة العدالة .. انظر مقدمة الاصابة في تمييز الصحابة
(٣٧) سوف نعرض لنماذج من هذه الروايات التي تصطدم بالقرآن والعقل فيما بعد ..

في أمن وسلام مما حولهم إلى أغلبية . وحقق الشيوع والتمكن لرواياتهم التى بمرور الزمن تحولت إلى عقائد وأضفيت عليها العصمة وأصبحت هى الحق وما دونها الباطل وأصبح الخارج عن دائرتها مبتدع زنديق. من هنا برزت فكرة عصمة السلف وعصمة رواياتهم وأنهم يمثلون الفرقة الناجية والطائفة المنصورة .. [٣٨]

يقول الأشعرى : لايجوز لأحد أن يخرج عن أقاويل السلف فيما اجتمعوا عليه وعما اختلفوا فيه أو فى تأويله لأن الحق لا يجوز أن يخرج عن أقاويلهم .. [٣٩]

ويقول ابن حنبل : أصحاب الرأى هم مبتدعة ضلال أعداء السنة والأثر يبطلون الحديث .. [٤٠]

القاعدة الرابعة : ربط الروايات بالقرآن أو الكتاب بالسنة . وبهذا يصبح من يشكك فى السنة كأنه شكك فى الكتاب ..

يقول مالك : السنة مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك .. [٤١]

ويقول الزهرى : كان علماؤنا يقولون : الاعتصام بالسنة هو النجاة .. [٤٢]

ويقول ابن تيمية : أساس الزندقة والرفض الطعن فى الأدلة والأخبار . وعمدة كل زنديق ومنافق إبطال أحاديث رسول الله (ص) والطعن فيها .. [٤٣]

ولابن حنبل دعاء يقول : اللهم ادحض باطل المرجئة . وأوهن كيد القدرية . وأذل دولة الرافضة . وامحق شبه أصحاب الرأى . واكفنا مؤنة الخارجية . وعجل الانتقام من الجهمية [٤٤]

وقال يحيى النيابورى : الذب عن السنة أفضل من الجهاد .. [٤٥]

إن المعارك الدائرة بين فقهاء الحديث حول صحة الروايات وتضعيفها والتى طالت ما يطلق عليه صحيح البخارى مما دفع بابن حجر أن يكتب مقدمته الطويلة دفاعاً عنه فى شرحه لكتابة والتى أسماها (هدى السارى) - هذه المعارك التى تكتظ بها كتب الرجال والشروحات الخاصة بكتب السنن وغيرها انما تدور جميعها حول سند هذه الروايات لا حول متنها .. فقد أجمع الفقهاء أن الرواية مادامت صحيحة فلا يجوز الخوض فى متنها . ومعنى صحيحة أى رجالها الذين رووها كل عن الآخر حتى يصلوا إلى الصحابى الذى يرويها عن الرسول لا تشوبهم شائبة أو بالمعنى

---

(٣٨) ذلك ما تنص عليه كتب العقائد عند أهل السنة ..
(٣٩) رسالة الثغر المسماة عقيدة أهل السنة والجماعة ط القاهرة ..
(٤٠) رسالة السنة ذيل الرد على الجهمية والزنادقة ..
(٤١) نقد المنطق لابن تيمية ص ٤٨
(٤٢) المرجع السابق ..
(٤٣) المرجع السابق ص ٧٥ و ٨٦ ..
(٤٤) رسالة السنة ..
(٤٥) نقد المنطق ص ١٢ ..

الاصطلاحي خارج دائرة الجرح ..

واعتبر الفقهاء الرواية التي تأتي عن طريق رجال البخاري ومسلم هي صحيحة وأن لم يروها البخاري ومسلم . فقد أصبح رواة البخاري ومسلم مقياس صلاحية الرواية من عدمها . ولذلك يقال عن الحديث لتأكيد صحته رجاله رجال الصحيح ..

إلا أن المتأمل في كتب الرجال بما فيهم الصحابة يتبين له أن الشبهات أحاطت بالكثير منهم خاصة رجال البخاري ومسلم وهو مايؤكده ابن حجر في مقدمته وكذلك مسلم في مقدمته وسائر كتب الجرح والتعديل التي صنفت لهذا الغرض .. (٤٦)

وتهم الردة والزندقة والتبديع التي طالت أصحاب الرأي والاتجاهات الأخرى على مر التاريخ انما طالتهم بسبب إعمال عقولهم في متون هذه الروايات مما أدى بهم إلى رفضها والشك في نسبة نصوصها للرسول (ص) ..

فالشيعة والمعتزلة وما يسمونهم بالجهمية وغيرهم إنما رفعوا شعار العقل في مواجهة هذه الروايات كما حكموا النصوص القرآنية فيها مما دفع بأهل السنة إلى التصدي لهم ورميهم بشتى التهم ..

وقد صنفت الكثير من الكتب من قبل أهل السنة للتوفيق بين الروايات ونصوص القرآن ودرء التعارض بينهما .. (٤٧)

إن استخدام العقل والرأي في منظور هؤلاء الفقهاء يعد صورة من صور الزندقة وهذا التجريم من قبلهم إنما يهدف إلى المحافظة على الروايات التي يتحصنوا بها في مواجهة الآخرين والتي تحتمي بها القوى الحاكمة أيضاً ..

من هنا فقد جرم الفقهاء أيضاً محاولة الخوض في الخلافات التي وقعت والأحداث التي ارتبطت بالصحابة بعد وفاة الرسول .. (٤٨)

نماذج الروايات ..

وان الاطلاع على نصوص الروايات التي تبناها أهل السنة وزادوا عنها وزندقوا مخالفها يكشف لنا مدى أهمية هذه الروايات وضرورتها بالنسبة لتيارهم ومعتقداتهم . كما يكشف من جانب آخر مدى مصادمتها للقرآن والعقل ومعاداتها للرأي . وان أقل ما يمكن أن يقال فيها هو أنها من صنع السياسة ..

---

(٤٦) انظر الميزان للذهبي والجرح والعديل للقاسمي وهدى الساري ومقدمة مسلم وتهذيب التهذيب لابن حجر ولسان الميزان له أيضاً . والرفع والتكميل ..

(٤٧) انظر نقد المنطق ودرء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ..

(٤٨) انظر كتاب العواصم من القواصم لابي بكرين العربي (ت ٥٤٣ هـ)

ومن هذه الروايات :

(من بدل دينه فاقتلوه ..)

(من أحدث فى أمرنا هذا فهو رد .)

(يوشك الرجل متكئاً على أريكة يحدث بحديث من حديثى فيقول بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وأن ماحرم رسول الله مثل ماحرم الله ..)

وفى ورواية أخرى : ألا أنى أوتيت الكتاب ومثله معه ..

(من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصا الله ..)

وفى رواية إضافة تقول : ومن أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصى أميرى فقد عصانى ..

(عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ ..)

(لا يقبل الله لصاحب بدعة صوماً ولا صلاة ولا صدقة ولا حجاً ولا عمرة ولا جهاداً ولا صرفاً ولا عدلاً يخرج من الإسلام كما تخرج الشعرة من العجين ..)

(صنفان من أمتى ليس لهما فى الإسلام نصيب المرجئة والقدرية ..)

(الناس تبع لقريش فى الخير والشر ..)

(.. تسمع وتطيع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع ..)

(ومن رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتته جاهلية ..)

(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ..)

(ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية ..)

ومن أراد ان يفرق أمر هذه الأمة وهى جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان ..)

(إذا بويع الخليفتين فاقتلوا الآخر منهما ..)

(تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدى كتاب الله وسنتى ..)

(يضع الله قدمه أو رجله فى النار فتقول : قط .قط ..)

(ان الله يغار ..)

(يقبض الله الأرض ويطوى السماء بيمينه ..)

(خلق الله آدم على صورته ..)

(ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة ..)

(إن الله فى السماء ..)

(إنكم ترون ربكم ..)

(يدنى المؤمن من ربه حتى يضع عليه كتفه ..)

(ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ..)

(ضحك ربنا من قنوط عباده ..)

(لن نعدم من رب يضحك خيراً)

(ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ..) (٤٩)

ومثل هذه الروايات وغيرها لم تلق قبولاً عند الشيعة والمعتزلة والجهمية وغيرهم فهى كما هو واضح تصطدم بالقرآن والعقل . إلا أن أهل السنة أقروها وألزموا بها الأمة واعتبروا الرافضين لها من أهل الرأى والكلام مزندقين من طالته سيوفهم ذبح باسم السنة ومن لم تطله سيوفهم طالته ألسنتهم .

ونخرج مما سبق أن الرواية هى سلاح الفقهاء والحكام فى مواجهة الرأى وأن هذا السلاح لازال مشهراً حتى اليوم فى مواجهة الآخرين ..

***

(٤٩) أنظر هذه الروايات وغيرها فى البخارى ومسلم وكتب السنن . وانظر سنن ابن ماجة باب ما أنكرت الجهمية . وانظر كتب العقائد . وكتابنا أهل السنة شعب الله المختار ..

القرآن والرأى

(إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ..) الإنسان/١٩

عرضنا فيما سبق موقف الرواية من الرأى والمصادمة الواقعة بينهما وزيادة فى وضوح الرؤية اتجهنا إلى القرآن لنستعرض نصوصه المتعلقة بالرأى ليتبين لنا مدى عمق الجناية التى لحقت بالرأى بسبب هذه الروايات ..

إن القرآن إنما يفتح الباب على مصارعة أمام الرأى وإن صور التضييق والاضطهاد إنما جاءت من الروايات وأقوال الرجال حكاماً وفقهاء ..

وسوف نعرض هنا نصوص القرآن حول قضية الرأى من محورين هما :

- حرية الرأى ..
- حرية المعارضة ..

وبهذين المحورين تؤكدنصوص القرآن أنه سبق جميع التشريعات الوضعية المتعلقة بالحريات . وان جوهر الدين وأصوله لا تصطدم بحال بحرية الإنسان وطموحاته الفكرية . وان الذى يقف فى طريق هذه الحريات ويصطدم بها هم المسلمون لا الإسلام ..

والمتأمل فى تاريخ المسلمين لن يجد لهذه النصوص أى دور فى واقعهم فقد تم حجبها تماماً عن ساحة الواقع والتعتيم عليها لعدم قدرة الأنظمة الحاكمة على التعايش معها ..

وبخلو الساحة من هذه النصوص سادت الروايات وأقوال الرجال والتى كانت نتيجتها تمكن الاستبداد وسيادة الرأى الواحد والبطش بأصحاب الرأى والمعارضين تلك الممارسات التى انعكست فى النهاية على صورة الإسلام ومستقبله .. كما انعكست على القوى الحاكمة المعاصرة فى ديار المسلمين ومواقفها من الرأى والمعارضة ..

- حرية الرأى ..

أول النصوص التى تفاجأنا بمرونة القرآن ومدى السعة والحرية التى يطلقها للرأى الآخر هي قوله تعالى : إذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة ..)

(قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ..)

(قال : إنى أعلم ما لا تعلمون ..) (البقرة / ٣٠)

وهذا الحوار الذى دار بين الملائكة وبين الله سبحانه وتعالى والذى أظهرهم بمظهر المعترضين على أمره أو المتسائلين عنه وهوما لايجوز عليهم وقد جبلوا على الطاعة والانقياد - هذا الحوار تسامح فيه الله ولم يعاقبهم أو يوبخهم بل أجاب على استفسارهم وهو ما يؤكد لطفه سبحانه بمخلوقاته وقبوله الرأى وافساح الطريق له ..

وأين هذا من حكام اليوم الذين يعتبرون قراراتهم نصوصاً معصومة تلزم بها الرعية ولا يجوز الأخذ أو الرد فيها ومن اعترض أو رفض نبذ أو قتل ..

ولما خلق الله آدم وأمر الملائكة بالسجود له عصي إبليس أمر ربه ورفض السجود لآدم ..

فقال سبحانه لإبليس : .. يا إبليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى استكبرت أم كنت من العالين . ؟

قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين ..

قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتى إلى يوم الدين ..

قال رب فانظرنى إلى يوم يبعثون .

قال فإنك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم ..

قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين ..

قال فالحق والحق أقول . لأملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين .. (ص / ٧٠ وما بعدها)

وهذا الحوار الصريح الذى دار بين الخالق وبين مخلوق من مخلوقاته إنما يكشف لنا مدى سعة الرأى والمناظرة بل والمعارضة التى تنطق بها نصوص القرآن . فعلى الرغم من رفض إبليس تنفيذ أمر الله ومناظرته له سبحانه بل وتحديه للقرار الالهى . وعلى الرغم من أن الله سبحانه أصدر قراره بطرده ولعنه ورجمه إلى يوم الدين رغم ذلك قبل سبحانه سماع كلامه وتحاور معه وأجابه إلى طلبه بالخلود إلى يوم الدين رغم أن هذه الموافقة سوف تأتى على البشرية بشر عظيم من إبليس وجنده . لكنه مبدأ الحرية والاختيار . كما هو منح لآدم . منح لإبليس أيضاً ومادام الله قد منح إبليس حق البقاء وسلطة الاغواء فإن هذا يعنى أن من يتبعه ويسير على دربه ويرفع رايته من بنى البشر لهم الحق فى البقاء

والعيش تحت ظل هذه الراية ووفق المبادئ والمعتقدات التى اعتنقوها . فالمسألة تدور فى دائرة الحرية والاختيار ..

ومادام الله سبحانه منح البشر حرية الاختيار بين الخير والشر ولم يخلقهم مسيرين فإن هذا يعنى إنعدام العقوبة على سلوك سبيل إبليس والإنحراف عن سبيل الله فى الدنيا ..

إن الله لم يمنح إبليس سلطة إكراه الناس على إتباعه فى أمر الشر . كما لم يمنح آدم سلطة إكراه الناس على أمر الخير . وهى قاعدة تنطبق على جميع الرسل (ص)

وهو مايظهر لنا من خلال قوله تعالى (إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا)

وقوله (إنما أنت مذكر . لست عليهم بمسيطر .) (الغاشية / ٢١ : ٢٢)

وقوله (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر .) (الكهف / ٢٩)

ومثلما تنطبق هذه القاعدة على الرسل تنطبق على غيرهم من الفقهاء والدعاة ومن نصبوا أنفسهم ناطقين بلسان الدين ..

وإذا كان هذا هو موقف القرآن من الآخرين الذين عاندوه وانحرفوا عن نهجه فمن أين جاءت عمليات البطش بالرأي وأصحابه .. ؟

والجواب يتمثل فى الانحراف عن نصوصه والإلتزام بالرواية وأقوال الرجال ..

فهذه الروايات والأقوال هى التى جنت على الأمة وزرعت بذور الشقاق بين المسلمين وبررت إضطهاد الرأى المخالف وأصحابه وفى النهاية هى شوهت صورة الإسلام ..

يقول سبحانه : وإذ قال إبراهيم رب أرنى كيف تحى الموتى .. ؟

قال : أو لم تؤمن ؟

قال : بلى . ولكن ليطمئن قلبى ..

قال : أو لم تؤمن .. ؟

قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم أجعل على كل جبل منهن جزءاً . ثم ادعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم .. (البقرة / ٢٦٠)

ومثل هذا النص إنما يكشف لنا أبعاداً جديدة فى محيط الحوار والرأى والمعارضة . فإبراهيم هو خليل الله سبحانه وهونبى مرسل مؤمن بقدرته وعظمته . وهذا الطلب من قبله يوحى بالشك فى قدرة الله إلا أن الله تحاور معه واستجاب لطلبه وأعطاه درساً عملياً وحسياً للبعث ..

إن الهدف من هذا النص ليس هو إثبات حالة أو حدث ارتبط بإبراهيم (ع) بقدر ما هو عملية تعلـمية للناس تحمل دلالات لسعة الأفق والحوار . فليس إبراهيم من أهل الشك ولا يجوز هذا فى

حق الرسل . فسؤاله إنما هو عن الكيفية وليس عن القدرة .. ؟

لقد كشف لنا هذا النص مدى ما يعيشه المسلمون من أزمة فكر وحوار انعكست على حركتهم وتصوراتهم فأصابتهم بالجمود والإنغلاق والتعصب وما ذلك إلا بسبب الروايات وأقوال الرجال . فنحن لا نجد اليوم من بين صفوف الرموز الإسلامية وقادة التيارات والجماعات التى ترفع راية الإسلام من يحتمل سؤالاً نصه : هل يمكن أن تبرهن لنا على مقدار علمك وإحاطتك بأمور الدين ؟

وصيغة السؤال إنما تقوم على أساس الاعتراف بأن هذه الرموز هى من أهل العلم . أى أن السؤال يدور فى محيط الكيفية وليس فى محيط القدرة كما هو حال إبراهيم مع الله سبحانه ..

واستطيع أن أجزم أن مثل هذا السؤال سوف يمثل استفزازاً كبيراً لهذه الرموز وسوف يعده تحدياً لها وتشكيكاً فى قدراته فمن ثم سوف يرفض الإجابة عليه ..

وقد ضربنا هذا المثل كى يتبين لنا مدى الهوة السحيقة بين المسلمين والقرآن . ومدى ما يعيشون فيه من عزله عنه متلحفين بالروايات وأقوال الرجال التى صورت لهم أنهم أهل الحق والفرقة الناجية من النار والطائفة المنصورة من قبل الله على مر الزمان ..

ونحن لن نناقش هنا من المستحق لأن يمثل الفرقة الناجية والطائفة المنصورة من بين فرق وطوائف المسلمين المتناحرة فيما بينها . وإن ما نريد تركيده هو أن هذا التصور برر لكل فرقة من هذه الفرق اضطهاد المخالف لها وإستحلاله ..

يقول سبحانه معاتباً آدم بسبب عصيانه أمره وأكله من الشجرة :

(ألم انهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما أن الشيطان لكما عدو مبين ..

قالا : ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ..

قال : اهبطوا بعضكم لبعض عدو . ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين .. (الأعراف/٢٢:٢٤)

لقد زين إبليس لآدم معصية الله ودفع به إلى عصيان أمره بعدم الأكل من الشجرة . لكن الله سبحانه استمع لآدم وقبل توبته . ولم يجرم فعله ولم ينزل به عقاباً كما لم يتعرض لإبليس . وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على أن الله سبحانه لا يريد أن يبدل ما جبل عليه خلقه . فإبليس خلق للشر وتزعم حركته . وآدم خلق للخير وتزعم رايته لكن كلاهما حر مختار . وقد مارس إبليس حريته فى إغواء آدم . ومارس آدم حريته فى قبول إغواء إبليس وبالتالى وقع فى العصيان .

والفرق بين آدم وإبليس . أن آدم لديه القدرة والإرادة على التراجع والتوبة . بينما إبليس قد تحدى الله وأقسم أن يستمر فى طريق الغواية والعصيان أى أنه قرر عدم التوبة والتراجع ..

إن آدم وإبليس كلاهما حر وقد أقر الله سبحانه هذه الحرية وتعامل مع كلاهما على أساسها .

وإذا كان الله سبحانه قد منح إبليس وآدم حرية مخالفته . أليس من الأولى أن يمنح المسلمون للآخرين حرية مخالفتهم . .

وإذا كان الله سبحانه قد اعترف بوجود الشر متمثلاً فى إبليس وذريته والخير متمثلاً فى آدم وذريته . أليس من الأولى أن يعترف المسلمون بوجود الآخرين متمثلين فى أى فكر وأى اعتقاد . .

والسؤال هنا هو : هل التجريم يقع على المخالف لله . أم المخالف للمسلمين . . ؟

والإجابة هى أن التجريم يقع على المخالف لله . .

لكن الله سبحانه لم يجرم المخالف له والكافر به فى الحياة الدنيا وأرجأ أمره إلى الآخرة أليس من الأولى على المسلمين أن يتبنوا فكرة الإرجاء ويتركوا مخالفيهم وشأنهم ويكلوا أمرهم إلى الله تعالى. . ؟

إن تبنى الحكام والفقهاء والتيارات الإسلامية تجريم الرأى والفكر فى محيط الدنيا إنما هو اعتداء على سلطة الله سبحانه وخروج على كتابه الذى أنزله هداية لمن شاء من الناس . .

- حرية المعارضة . .

إن الأدلة القاطعة التى جاء بها القرآن حول قضية الرأى تلك النصوص التى تتحدث عن المعارضين لله سبحانه ولرسله الرافضين لدينه . فهؤلاء جميعاً لا يؤاخذهم الله بشئ فى الحياة الدنيا . وطوال حياتهم يملكون الحرية فى معارضة شرعه ورفض رسالاته دون أن ينزل بهم أى عقاب . .

والقرآن قد ضرب على ذلك الكثير من الأمثلة فى الوقت الذى لم يحدد فيه أية عقوبة دنيوية أو تشريع يعترض طريق هؤلاء المعارضين أو يحجر عليهم . .

يقول سبحانه : ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى . فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا . . (فاطر / ٤٥)

ويقول سبحانه : ورحمتى وسعت كل شئ . . (الأعراف / ١٥٦)

وأمام هذين النصين لا مكان لتلك النظريات المتطرفة المعادية للرأى الآخر وللمعارضين والتى ابتدعتها السياسة . فالرحمة والاعتدال هما الأساس فى مواجهة الآخرين لا البطش والسيف والتضييق والمصادرة . .

ولقد أعلن اليهود معارضتهم لله جهرة وقالوا فى الله سبحانه الكثير:

يقول تعالى : وقالت اليهود يد الله مغلولة . . (المائدة /٦٤)

ويقول : لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء .. (آل عمران / ١٨١)

ويقول : لقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة .. (النساء / ١٥٣)

وقال النصارى عن الله مثلما قال اليهود

يقول سبحانه : لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم .. (المائدة / ١٧)

ويقول : لقد كفر الذين قالوا أن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد .. (المائدة / ٧٣)

ويقول : اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .. (التوبة / ٣١)

ويقول : وقالت اليهود عزير ابن الله . وقالت النصارى المسيح ابن الله .. (التوبة / ٣٠)

إن اليهود والنصارى قد عارضوا الله سبحانه ونازعوه في ألوهيته ونسبوا إليه الولد وهو أمر عظيم صوره الله سبحانه بقوله :

وقالوا اتخذ الرحمن ولدا . لقد جئتم شيئاً إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولداً ..) (مريم / ٨٩ : ٩١)

ورغم ذلك كله لم يكن هناك من سبيل لمواجهتهم سوى الرد عليهم ودحض حججهم وتبديد شبهاتهم . فقط . هذا هو القرار الذى اتخذ في مواجهتهم ..

وليت المسلمين التزموا بهذا النهج فى مواقفهم وممارساتهم تجاه المخالفين على مر التاريخ وإذا كان القرآن قد تبنى هذا الموقف تجاه اليهود والنصارى . فكيف للإسلاميين أن يتبنوا ما هو أشد وأكثر تطرفاً وإرهاباً تجاه المسلمين المخالفين لهم .. ؟

أما موقف القرآن من المنافقين الذين يتبنون موقف المعارضة السرية لله والدين والرسول فهو موقف غاية في الاعتدال والمرونة

يقول سبحانه : وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً .. (الأحزاب / ١٢)

ويقول : ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب . قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون.. (التوبة / ٦٥)

ويقول : وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء إلا أنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون . وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون .. (البقرة / ١٣ وما بعدها)

ويقول : يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا إلا أن أغناهم الله وسوله من فضله .. (التوبة / ٧٤)

إن موقف المنافقين هو موقف عقائدى يتمثل فى رفض الدين والرسول والكفر بالله من أناس يشهرون الإسلام . فمن ثم هم أخطر من أولئك الذين يعارضون شاهرين كفرهم ومع ذلك فإن القرآن لم يطلب من الرسول أو المسلمين مواجهتهم واستئصالهم من المجتمع وإنما ترك أمرهم إلى الله سبحانه . والتزم الرسول أمامهم بالحوار والحجة والحذر منهم .

وإذا كان القرآن قد تسامح مع المنافقين وهم يتبنون موقفاً عقائدياً من الإسلام ومن المسلمين والتزم أمامهم بالحجة والحوار أملاً فى هدايتهم . فكيف يكون الموقف تجاه المسلمين أصحاب الرأى والتوجه المخالف .. ؟

لا شك أن موقف القرآن سوف يكون أكثر سعة وأكثر مرونة . بل أن نصوصه باركت الرأى الذى ينشأ عن التعقل والتدبر والتفكر .. [1]

ولقد جسد لنا رسول الله (ص) هذا السلوك عندما طالبه البعض بقتل المنافقين فكان جوابه : لايقال أن محمداً يقتل أصحابه .. [2]

وهذا الموقف من قبل الرسول إنما يجسد قاعدة أساسية فى مواجهة المخالفين وهى أن الجزاء يرتبط بالجرم لا بالفكر أو الرأى ..

لقد تعامل الرسول مع المنافقين على أساس مبدأ حرية الرأى والاختيار فهو حق قد منح لآدم وسائر البشر من قبل الله سبحانه ولا يجوز للرسول أو غيره أن يسلبهم هذ الحق ..

وإذا ما جاء الحديث عن المشركين فأنا نجد أن القرآن ألتزم فى مواجهتهم بنفس الموقف الذى ألتزمه في مواجهة المنافقين ..

يقول سبحانه : وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها .قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون .. (الاعراف /٢٨)

ويقول سبحانه : وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى . فاوقد لى ياهامان على الطين فاجعل لى صرحاً لعلى أطلع إلى إله موسى وإنى لأظنه من الكاذبين .. (القصص / ٢٨)

ومن خلال النص الأول نرى الله سبحانه يرد على المشركين الذين نسبوا إليه سبحانه الفحشاء بنفى هذا الإدعاء والتأكيد على أنهم قوم يجهلون ويدعون بلا علم ولا أساس مبيناً أن الله لا يأمر بذلك (قل أمر ربى بالقسط) .. (الاعراف /٢٨)

أما فرعون فهو صاحب سلطة وجنود ويقف موسى فى مواجهته لا يملك سوى عصاته التى يبرهن

---

(١) انظر قوله تعالى (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون)(البقرة /٢٤٢) . وقوله (أفلا تعقلون) وقوله (أفلا يتدبرون القرآن) وقوله (هل يستوى الأعمى والبصير أفلا تتفكرون) (الأنعام /٥٠). ومثل هذا فى القرآن كثير .

(٢) انظر كتب السيرة . وأبواب المنافقين في شروحات كتب السنن مثل فتح البارى وشرح النووى ..

بها على صحة إدعائه النبوة وحمله الرسالة . فمن ثم دفع هذا الموقف بفرعون إلى الغرور واستضعاف موسى وقومه ثم ادعاؤه الالوهية على الملأ دون أن يجد معارضة من قومه الذين دانوا له وعبدوه .

ولم يكن موسى يهدف إلى القضاء على فرعون بل كان يهدف إلى تحرير بنى إسرائيل من النظام الفرعونى . فعلى الرغم من طغيان فرعون وإدعائه الربوبية والإلوهية فإن التوجيه الإلهى لموسى عندما أرسل فرعون نص عليه قوله تعالى :

إذهب إلى فرعون إنه طغي .. (طه / ٢٤)

ولما أنضم هارون إلى موسى ليشد من أزره قال لهما سبحانه :

إذهبا إلى فرعون إنه طغي فقولا له فقولا لينا لعله يتذكر أو يخشى .. (طه / ٤٣)

قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى ..

قال : لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى .. (طه /٤٦)

لكن فرعون تجاوز حدود العناد والخصومة مع الله ورسوله ودخل فى صدام مع موسى وعمل على عرقلة الدعوة وقتل المؤمنين وتشويه الحق والبطش بالناس مما أدى إلى تدخل القدرة الإلهية التى قضت عليه وجعلته آية لطواغيت الأرض ..

إن الله سبحانه لم ينتقم من فرعون بسبب كفره وعناده وإنما انتقم منه بسبب محاربته لرسوله وبطشه بالمؤمنين ..

لقد تجاوز فرعون حدود الفكر والاعتقاد والجدال بالحسنى إلى حدود التآمر والقتل والمطاردة فكان جزاؤه القتل بسبب جرمه لا بسبب فكره وعناده ..

ومن معارضة الله سبحانه إلى معارضة الرسل (ص) ..

يقول سبحانه : وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ..(الفرقان/ ٦٠)

ويقول : كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحراً أو مجنون .. (الذريات /٥٢)

وقال قوم هود (ع) :

إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء .. وهود /٥٤)

وقال قوم نوح (ع) :

فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين إن هو إلا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين (المؤمنون /٢٤)

وقال قوم صالح (ع) :

قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما يعبد أباؤنا واننا لفى شك مما تدعونا إليه مريب .. (هود/ ٦٢)

وقال قوم شعيب (ع) :

قالوا يا شعيب مانفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز .. (هود / ٩١)

وقا ل قوم لوط (ع) :

قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون .. (الاعراف / ٨٢)

وقال قوم محمد (ص)

قد نعلم أنه ليحزنك الذى يقولون فأنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون .. (الأنعام / ٣٣)

وقالوا إن هذا إلا سحر مبين ، أئذامتنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون .. (الصافات / ١٥)

وقال الكافرون هذا ساحر كذاب . أجعل الإلهة إلهاً واحدا إن هذا الشئ عجاب .. (ص /٤)

ومن أمثلة هذا فى القرآن كثير وهو يدل دلالة قاطعة على اعتراف القرآن بالحوار والجدل والمناظرة وحرية المعارضة والرأى الآخر ..

ومن جهة أخرى هو يؤكد على أن الرأى الآخر وأصحابه من أقوام الأنبياء أو أهل الكتاب أو المشركين وغيرهم لم يضطهدوا بسبب رأيهم وإنما حل على بعضهم غضب الله وانتقامه لإجرامهم وسلوكهم سبيل المقاومة المادية لدعوة الرسل ..

- الرأى والقرآن ..

مثلما أوضح لنا القرآن فيما سبق حرية الرأى والمعارضة لله سبحانه ولدينه ولرسله يؤكد لنا القرآن أيضاً حرية الرأى والمعارضة لآياته من قبل الكفار والمشركين وهو ما يظهر لنا من خلال النصوص التى تعرض للصدام الفكرى الذى وقع مع قوم الرسول (ص) .. الذين أعلنوا رفضهم للقرآن ..

يقول سبحانه : وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره أنكم إذاً مثلهم .. (النساء / ١٤٠)

ويقول سبحانه : وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك إفتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاءوا ظلماً وزوراً . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا .. (الفرقان / ٤)

ويقول : ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى

مبين .. (النحل / ١٠٢)

ويقول : بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر .. (الحاقة / ٣٨)

ويقول : وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين .. (الأحقاف / ٧)

ومجموع هذه النصوص يؤكد لنا موقف الرفض الذى تبناه قوم الرسول من القرآن ذلك الرفض الذى يقوم علي تكذيب نصوصه والإستهزاء بآياته ..

والقرار الإلهى الذى صدر فى مواجهتهم هو وجوب اعتزالهم ومقاطعتهم والرد على ما أثاروه من شبهات حول القرآن ..

يقول سبحانه : فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون .. (الحاقة / ٣٨)

ويقول : وما هو بقول شيطان رجيم .. (التكوير / ٢٥)

يقول: وما تنزلت به الشياطين. وما ينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون .. (الشعراء / ٢١٠)

إن القرآن يحدد فى صراحة ووضوح أن من حق الفرد أن يبدى رأيه فى آياته ويقرر ما يتبناه من معتقد تجاهه . وأن على المسلمين أن يتبنوا فى مواجهة المخالفين لهم حول القرآن نهج الحوار والاعتدال على أساس الاحترام المتبادل . وعلى أساس حق الحرية والاختيار الذى منحه الله سبحانه للناس أجمعين ..

يقول سبحانه : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين .. (الممتحنة / ٨)

وهذا النص الصريح القطعى الدلالة إنما يوجب علي المسلمين إلتزام الأدب والأخلاق واللين والبر مع مخالفيهم فى حدود الرأى والاعتقاد طالما أن هؤلاء المخالفين لا يشهرون السيف فى مواجهتهم ولا يعادوهم فى شئ ..

وفى محيط هذه النصوص القرآنية الصريحة ينبغى أن نلقى الضوء على قضية الناسخ والمنسوخ التى يتسلح بها أنصار الرؤية الآحادية من أهل السنة القدماء والمعاصرين فى مواجهة هذه النصوص..

فقد شهر الفقهاء والرواة سلاح النسخ أمام هذه النصوص بهدف تطويقها والحيلولة دون أن تكون سندا للتيارات الأخرى المناهضة للخط السائد وأصحاب الرأى بشكل عام .. ونحن نقول أن فكرة الناسخ والمنسوخ هى فكرة مختلقة تصطدم بالقرآن والعقل وإن صحت فهى خاصة بفترة نزول القرآن فى عهد الرسول (ص) .

أما تبنى هذه الفكرة بعد تمام القرآن وكمال الدين فهذا من شأنه أن يؤدى إلى تعطيل الكثير من نصوص القرآن فضلاً عن كونه سوف يؤدى إلى القضاء على حرية الرأى والعقيدة وسيادة تيار التطرف والعدوانية . إذ ان تبنى هذه الفكرة . سوف يؤدى إلى تعطيل ذلك الكم من النصوص التى عرضناها وغيرها بحجة أنها منسوخة . وسوف تحل محلها نصوص السيف .. [٣]

ولقد تمادى أهل النسخ فى موقفهم حتى نادوا بجواز نسخ النص القرآنى بالرواية وبهذا يكونوا قد أوصدوا الأبواب فى وجه الرأى الآخر وحرموه من حق الاختيار ووضعوه ما بين السيف والتراجع.. [٤]

إن القرآن يقدم لنا الدليل على بطلان مثل هذه الفكرة وأنه لا يجوز تطبيقها على قضايا الرأى خاصة ..

يقول سبحانه : إنك ميت وإنهم ميتون . ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون .. (الزمر / ٣٠)

فهذا النص يعطينا دلالة قاطعة على أن الخصومة فى أمر الدين بين الذين يؤيدونه ويؤمنون به ويناصرون الرسول وبين الذين يرفوضونه ويعادون الرسول لن يفصل فيها إلا بين يدى الله سبحانه يوم القيامة . وهذا يعنى استمرار هذه الخصومة فى الحياة الدنيا وأنه لا عقوبة لها ولا اعتراض عليها . وهذا يعنى أن تشريع الحوار والجدال مع خصوم الدين قائم لم ينسخ ..

وما دام الله سبحانه قد منح البشر حق الاختيار وحرية الإرادة فى الحياة الدنيا . فمن الظلم أن هذه الحرية ويصادر منهم وهذا الحق .

والذين يقولون بالنسخ إنماينسبون الظلم إلى الله إذ ينسبون إليه التراجع عن هذه المنحة وإنزاله العقاب علي من يمارسون حريتهم فى الاختيار والاعتقاد ..

إن القرآن يزدحم بشتى النصوص التى تعرض رأى خصوم الدين من يهود ونصارى ومشركين ومنافقين حتى ولو كانت تمس الله سبحانه أو الرسول أو القرآن . وفتح لهم الأبواب ليقولوا ما يعتقدون فى حرية ..

من جهة أخرى أزدحم القرآن بكثير من النصوص التى ترد على إدعاءات الخصوم وتفند شبهاتهم . وهذه النصوص إنما تعطى درساً بليغاً للمسلمين فى تعاملهم مع الآخرين ..

---

(٣) يجمع الفقهاء على أن نصوص سورة التوبة نسخت ما قبلها من نصوص الحوار والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة وعدم التعرض لأهل الكتاب .. ويذكر أن آية الممتحنة السابقة من الآيات المدنية وهذا يعنى أنها غير منسوخة

(٤) قال الأحناف بجواز الحديث الآحاد . ونقل عن الشافعي التصريح بذلك . انظر المبسوط للرخس والرسالة والأم للشافعي ..

شـهـداء الـرأى

الكلمة والسيف ..

إن تاريخ المسلمين يقطر بالدماء ..

دماء أريقت من أجل الحكام ..

ودماء أريقت من أجل التوسع والسيطرة ..

ودماء أريقت من أجل الكلمة ..

وهذه الدماء هي دماء المسلمين لا دماء الكفار والمشركين ..

وموضوعنا هنا هو تلك الدماء التي أريقت من أجل الكلمة حيث لم يكن هناك حوار . ولم تكن هناك مناظرة ..

بل كان هناك حكام وفقهاء وسيوف ..

وكان هناك فلاسفة وشعراء وتيارات ومذاهب تختلف مع هؤلاء الحكام وتنازع الفقهاء سيطرتهم على الشارع الإسلامي أو القاعدة الجماهيرية ..

وكانت عقيدة الحكام والفقهاء لا تسمح بالرأي الآخر ولا تفسح له الطريق فالرأي الآخر في عرفها هو الزيغ والضلال والزندقة . لكونها عقيدة الفرقة الناجية من النار والطائفة المنصورة من الله سبحانه الرافعة لراية الحق عبر الزمان

من هنا فإن جبهة الحكام والفقهاء لم تكن تفقه سوى لغة السيف في مواجهة الخصوم من الشيعة والمعتزلة والجهمية والقدرية والشعراء والكتاب والفلاسفة وغيرهم من أصحاب الرأي المخالف الذين رفعوا شعار العقل وكرموه ..

لذا فقد كثر الشهداء المظلومون ..

وتدفقت دماؤهم لتسطر لنا تاريخ القهر والاستبداد والفساد الذي تلحف بالإسلام وهو منه براء ..

تعالوا بنا إذن لنتعرف على شهداء الرأي ..

ونتعرف أيضاً على أعداء الرأي ..

إن أهم النتائج التي نخرج بها من خلال عرض هذه النماذج من شهداء الرأي عبر التاريخ هو أن التاريخ يعيد نفسه . وإن هذا النموذج من المحاكمات الفكرية إنما تتكرر أمامنا اليوم على يد الحكام والفقهاء بصور مختلفة ..

***

حجر بن عدى

نعم لعلى . لا لمعاوية ..

حجر بن عدى بن الأدبر الكندى وفد على الرسول (ص) هو وأخوه هانى بن عدى وشهد القادسية وشهد الجمل وصفين مع على وكان من الصحابة المتشيعين له ..

ولما قتل على وبعده الحسن بالسم ودانت الكوفة لمعاوية ولى عليها زياد بن أبيه فأظهر الغلظة والسوء فأعلن حجر خلعه ولم يخلع معاوية وتابعه على ذلك جماعة من شيعة على . وتأكد لزياد أن حجراً وأصحابه مصدر قلق وإضطراب فى الكوفة فأرسل إلى معاوية بالشام يخبره بالأمر . فأمره أن يبعث به وبأصحابه إليه . فبعث بهم إليه فقتلهم فى قرية مرج عذراء بغوطة دمشق ..

ويروى أنه لما أمر معاوية بقتل حجراً وأصحابه قام حجر فصلى ركعتين . ثم قال : لولا أن تظنوا بى غير الذى بى لأطلتها . وقال : لا تنزعوا عنى حديداً ولا تغسلوا عنى دماً فإنى لاق معاوية على الجادة ..

وتشهد كتب تراجم الصحابة مثل الاصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر العسقلانى . وأسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير والاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر وطبقات ابن سعد – أن قتل معاوية حجراً أثار غضباً شديداً فى أوساط المسلمين حتى أنه يروى أن معاوية ندم على قتله ..

ويروى ابن الأثير أن عائشة أرسلت إلى معاوية تقول : الله الله فى حجر وأصحابه .

ويروى دخل معاوية على عائشة فى المدينة فقالت له فى حجر كلام طويل . فقال معاوية دعينى وحجراً حتى نلقى ربنا ..

ويروى ابن سعد أن الشيعة كانوا يختلفون إليه ويقولون : إنك شيخنا وأحق الناس بإنكار هذا الأمر . وكان إذا جاء المسجد مشوا معه .

وانشدت هند بنت زيد بن مخرمة الانصارية وكانت شيعية فيه شعراً يقول :

ترفع أيها القمر المنير ∴ ترفع هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب ∴ ليقتله كما زعم الخبير
تجبرت الجبابر بعد حجر ∴ وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولاً ∴ كأن لم يحسها يوما مطير
ألا يا حجر حجر بن عدى ∴ تلقتك السلامة والسرور
أخاف عليك ما أردى عدياً ∴ وشيخاً فى دمشق له زئير
فإن تهلك فكل عميد قوم ∴ إلى هلك من الدنيا يصير

ولحجر مقالة شهيرة حين هم معاوية ورجاله قتلة قال : اللهم إنا نستعديك على أمتنا فإن أهل العراق شهدوا علينا وإن أهل الشام قتلونا ..

ويروى ابن العماد فى شذرات الذهب ج ١ . أحداث عام ٥١ هـ : وفيها قتل حجر بن عدى وأصحابه بمرج عذراء من أرض الشام . قتلوا بأمر معاوية . ولذا قال على كرم الله وجهه حجر بن عدى وأصحابه كأصحاب الأخدود (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)

فإن صح هذا عن على فيكون من باب الأخبار بالغيب لأنه توفى قبل ..

لقد عمل معاوية منذ أن قبض على زمام السلطة على تصفية خصومه والبطش بالمعارضين لحكمه وطموحاته .

ولم تكن هناك من معوقات تقف في طريق تحقيق هذه الطموحات واستقرار الحكم بين يديه سوى قطاع الشيعة من الصحابة والتابعين الذين تمركزوا فى الكوفة وفى المدينة فهؤلاء كانوا الخطر الأكبر الذى يهدده ويقلق مضجعه . فمن ثم لم يكن متسامحاً معهم بل منكلاً بهم ..

وهو النهج الذى سار عليه الولاة السفاحون الذين تولوا حكم الكوفة والمدينة من قبله والذين لم يكونوا يفهمون إلا لغة السيف ..

وفى زمن معاوية لم يكن يقف فى مواجهته سوى الشيعة فلم تكن الاتجاهات والتيارات الأخرى قد ظهرت بعد باستثناء تيار الخوارج الذي تلقى ضربة قاضية على يد الإمام على احتاجت منه فترة طويلة كى يبرز على الساحة من جديد ..

ولقد دافع فقهاء التبرير الذين نموا وترعرعوا فى ظل حكم بنى أمية عن معاوية وبرروا جرائمه وتلقفوا رواياته التى نسبها للرسول (ص) وروايات وزير الدعاية فى حكومته أبو هريرة وأقاموا الدين

على أساسها ..

وقد صنف هؤلاء الكثير من الكتب التي تبيض وجه معاوية الذي أدخلوه ضمن الصحابة العدول الذين لا يجوز الخوض في أمرهم أو المساس بهم ..

وصنف أبو بكر ابن العربي كتابه (العواصم من القواصم) لهذا الغرض كما صنف من بعده ابن حجر الهيتمي كتابه : (تطهير الجنان واللسان عن الخطورة والتفوه بثلب معاوية بن أبي سفيان)

وذلك غير ما ألصقوه به في كتب السنن من فضائل والدور الذي قام به مؤرخو الشام في تلميع الحكم الأموي والدفاع عن معاوية أمثال ابن كثير والذهبي وابن خلكان وكذلك فقهاء الشام أمثال النووي وابن حجر العسقلاني وابن تيمية ..

وهكذا أضاع القوم دماء حجر هدراً . كما أضاعوا دماء الآلاف من الشهداء الذين قتلوا على يد زياد عامل معاوية على الكوفة وبسر بن أرطأة جندي معاوية الأمين الذي ذبح الأطفال والشيوخ والنساء في المدينة والحجاز واليمن ..



ميثم التمار

أول المصلوبين .. فى تاريخ المسلمين

كان معاوية قد فرض على أهل الشام والعراق وغيرهما من البلدان الواقعة فى دائرة نفوذه سب الإمام على على المنابر والبراءة منه . وذلك بعد مقتل على واستتباب الأمر له ..

وصار ذلك سنة فى أيام معاوية التى استمرت تسعة عشرة سنة وبضعة أشهر كان قد قتل فيها كل من يظهر الولاء لعلى بن أبى طالب - كما صارت سنة فى أيام بنى أمية من بعده واستمر ذلك حتى جاء عمر بن عبد العزيز فمنع ذلك وأمر الخطباء فى المساجد ان يتلوا مكان سب الإمام على قوله تعالى (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر ..)

وكان ميثم بن يحيى التمار عبداً لإمرأة من بنى أسد فاشتراه الإمام على وأعتقه . فأصبح من حواربه والملتصقين به ..

وكان شأن ميثم مع على كشأن سلمان مع النبى (ص) حين كان مملوكاً لإمرأة يهودية فاشتراه النبى وأعتقه وقربه إليه ..

وكما أخذ سلمان العلم من النبى أخذ ميثم أيضاً العلم من على حتى أنه نبأه بيوم وساعة مقتله على يد ابن زياد ..

ولقب ميثم بالتمار لأنه كان يبيع التمر فى دكان بالكوفة . وكان الإمام على إذا خرج إلى المسجد يجلس إلى ميثم فى دكانه ..

ولما ولى ابن زياد الكوفة من قبل معاوية بعد مقتل الإمام على وموت الحسن دخل عليه ميثم فى شكاية مع آخرين وتحدث بلسانهم أمامه . فسأل عنه ابن زياد فقالوا له : هذا الكذاب مولى الكذاب (على) ..

فرد ميثم قائلاً : بل أنا الصادق مولى الصادق أمير المؤمنين على حقاً ..

فقال ابن زياد : تبرأ منه ولتذكرن مساوئه وتتولى عثمان وتذكر محاسنه أو لأقطعن يديك

ورجليك ولأصلبنك ..

فلما سمع ميثم هذا القول بكى ..

فقال ابن زياد : مايبكيك ؟

فقال : والله ما بكيت من القول دون الفعل . ولكن بكيت من شك كان دخلني يوم أخبرني مولاى على ..

قال ابن زياد : وما قال لك مولاك ..

قال ميثم : قال لى لتقطعن يديك ورجليك ولسانك ولتصلبن . فقلت : ومن يفعل بى ذلك ؟

فقال لى مولاى على : يأخذك العتل الزنيم من الأمة الفاجرة عبيد الله بن زياد

فقال ابن زياد فى غيظ وغضب : والله لأقطعن يديك ورجليك ولأدعن لسانك حتى اكذبك واكذب مولاك ..

فأمر به فقطعت يداه ورجلاه ثم صلب على جذع نخلة ..

فلما رفع على الخشبة صاح بأعلى صوته : أيها الناس من أراد أن يسمع الحديث المكنون عن على بن أبى طالب قبل أن اقتل فليأتى ..

فكأن يحدث الناس بفضائل أهل البيت وهو بين يدى الموت . وكثر الناس من حوله . وبلغ الأمر ابن زياد فخشى أن يغير قلوب أهل الكوفة على معاوية ويخرجون عليه فأمر من يذهب ليقطع لسانه..

فلما أتوا قالوا لميثم : أخرج لسانك فقد أمرنا الأمير بقطعه ؟

فقال ميثم: ألا زعم ابن الفاجرة ان يكذبنى ويكذب مولاى أمير المؤمنين على هاكم لسانى فاقطعوه ..

وقطع لسان ميثم وصدقت نبوءة على فيه فكان أول مصلوب فى تاريخ المسلمين ..



سعيد بن جبير ..

راهب يواجه السفاح ..

يعد سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الشهير بسعيد بن جبير المولى من إعلام التابعين سكن الكوفة وأخذ العلم عن ابن عباس وغيره من الصحابة وشهد له معاصروه بالتقوى والورع والفقه بالرواية والقرآن وسائر الأحكام .. وقد عاصر ابن جبير الحجاج وأكتوى بناره وأعلن غضبه عليه وعلي خليفته عبد الملك بن مروان . فقبض عليه الحجاج وقتله بتهمة التعاون مع حركة الثورة التي قادها عبد الرحمن بن الأشعث ..

وكان سعيد قد فر من وجه الحجاج إلى مكة وأختبأ فيها فوشي به الواشون فقبض عليه حاكمها خالد بن عبد الله القسري وبعث به إلى الحجاج بالكوفة ..

يروى ابن خلكان أن سعيد لما مثل بين يدي الحجاج قال له : يا شقي بن كسير والله لأقتلنك . وأمر الحرس بضرب عنقه . فضرب عنقه في شعبان سنة خمس وتسعين وقيل سنة أربع وتسعين للهجرة بواسط ودفن بظاهرها وقبره يزار بها ..

ويروى أن سعيد أدخل على الحجاج وهو موثق بالحديد فنظر إليه الحجاج في غضب وقد استوى جالساً وكان متكئاً : يا عدوالله . خرجت علينا مع عبد الرحمن .. ؟

قال : سعيد : مافعلت . ولكن أتيت بيت الله الحرام الذي من دخله كان آمنا . فأخذت وأنا متعلق بأستار الكعبة ..

قال الحجاج : ماأسمك ؟

قال سعيد : اسمي سعيد بن جبير ..

قال الحجاج : الشقي بن كسير ..

قال سعيد : أمي أعلم باسمي ..

قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك ..

قال سعيد : الغيب يعلمه الله ..

قال الحجاج : لأوردنك حياض من الموت ..

قال سعيد : أصابت أمي اسمي حقاً ..

قال الحجاج : لأبدلنك بالدنيا ناراً اتلظى ..

قال سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً ..

قال الحجاج : ما علمك بمحمد (ص) ..

قال سعيد : نبي ختم الله به الرسل وصدق به الوحي إمام الهدى ونبي الرحمة صلى الله عليه وسلم وعلى أهل بيته ..

قال الحجاج : ما قولك في الخلفاء ..

قال سعيد : خيرهم أرضاهم لخالقه ..

قال الحجاج : أي رجل أنا ..؟

قال سعيد : يوم القيامة تخبر أي رجل أنت .

قال الحجاج : فأي رجل أنت .. ؟

قال سعيد : أنا أهون على الله من أن أطلع على غيبه ..

قال الحجاج : يا سعيد مالك لم تضحك قط ..

قال سعيد : وكيف يضحك رجل مخلوق من طين والطين تأكله النار ولا يدري إلى ما يصير إلى جنة أو إلى نار ..

قال الحجاج : : ما قولك في علي بن أبي طالب أفي الجنة هو أم في النار ..

قال سعيد : لو أدخلت الجنة وفيها أهلها . والنار وفيها أهلها . لعلمت يا حجاج ..

قال الحجاج : الويل لك مني يا سعيد .

قال سعيد : الويل لمن أبعد عن الجنة وأدخل النار ..

قال الحجاج : إني قاتلك ..

فضحك سعيد ..

فقال الحجاج : ما أضحك يا سعيد ؟

قال سعيد : ضحكت من العجب ..

قال الحجاج : ماذاك العجب ..

قال سعيد : عجبت من تجرئك علي الله وحلمه عنك ..

فأمر به الحجاج ليقتل ..

قال سعيد : (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ..)

قال الحجاج : حولوا وجهه عن القبلة ..

قال سعيد : (فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم)

قال الحجاج : يا غلام . قم إليه فاضرب به الأرض ضربة ثم اعل صدره لتذبحه فلما وضع السيف على حلقه قال سعيد : بسم الله وبا لله وعلى ملة الله وملة رسوله ..

قال ابن حنبل : قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحد إلا وهو مفتقر إلى علمه

وقال الحسن البصري : اللهم أيت على فاسق ثقيف - الحجاج - والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا فى قتله لكبهم الله عز وجل فى النار

ولم يعش الحجاج بعد سعيد سوى أشهر قليلة ولم يسلطه الله على قتل أحد بعد سعيد

ويروى أن الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق وهو يقول : مالى ولسعيد بن جبير ..

لقد انتمى سعيد إلى قافلة شهداء الرأى والمعارضة لحكم بنى أمية من شيعة على بن أبى طالب وهم أكثر من أن يحصوا وقد تدفقت دماؤهم بغزارة لتروى لناقصة الصراع بين النص والسياسة أو بين الإسلام والقبلية .

ومن جهة أخرى شكلت هذه الدماء إدانة فاضحة لخط معاوية وبنى أمية الذين وضعوا أساس صرح الاستبداد والقهر ومحاكم التفتيش ..



غيلان الدمشقى

نادى بالقدر وراح ضحيته..

يمثل غيلان بن مسلم الدمشقى تيار أطلق عليه (القدرية) وهو تيار محكوم عليه بالكفر والضلال واستباحة دماء أصحابه من قبل أهل السنة ..

ويتداول أهل السنة رواية تقول : القدرية مجوس هذه الأمة . إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم .. (أبو داوود)

ورواية تقول : لكل أمة مجوس . ومجوس هذه الأمة الذين يقولون : لا قدر ..

من مات منهم فلا تشهدوا جنازته ومن مرض منهم فلا تعودوهم . وهم شيعة الدجال .

وحق على الله أن يلحقهم بالدجال .. (أبو داوود)

ويروى : صنفان من بنى آدم ليس لهما فى الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية .. (الترمذى)

ويروى : لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم .. (مسند أحمدوأبو داوود والحاكم)

وليس هنا مكان التعليق على هذه الروايات التى من الواضح أنها مختلفة فى مواجهة تيار يهدد أهل السنة والقوم قد أكفونا الخوض فيها بإعترافهم أنها ضعيفة . إلا أن ما يعنينا هنا هو أن هذه الروايات كان لها دورها فى الماضى واستند عليها فى تصفية تيار معين واستباحة دماء أصحابه ..

أما ما ينسب لهذا التيار فهو أن كل أحد يخلق فعله ويترتب على هذا التصور نفى القدرة عن الله سبحانه وإخراج أفعال المخلوق من دائرة قدرته وخلقه حسب زعم أهل السنة الذين يؤكدون أن القدرية نفاة القدر وتشبيههم بالمجوس إنما يعود إلى أن المجوس اعتقدوا وجود خالقين . والقدرية اعتقدوا وجود خالقين ..

وعلى ما هو ظاهر ان هذا التشبيه غير صحيح إذ أن البون شاسع بين من يدعى وجود خالقين اثنين للكون ومن يدعى قدرة العباد على خلق أفعالهم ..

ويذكر مؤرخو الفرق والاعتقادات أمثال البغدادي في كتابه (الفرق بين الفرق) والشهرستاني في كتابه (الملل والنحل) إن باعث فكرة القدر كان نصرانياً دخل الإسلام

ويروى أن عمر بن عبد العزيز ناظر غيلان في فكرته وأقنعه بالرجوع عنها .

وقد نص الحوار بينهما على ما يلي :

قال عمر : ما تقول ؟

قال غيلان : أقول ما قال الله ..

قال عمر وما قال الله .. ؟

قال غيلان : إن الله يقول : هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً .. ومضى يقرأ حتى قوله تعالى : إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ..

قال عمر : أقرأ . فلما بلغ قوله تعالى (وماتشاؤون إلا أن يشاء الله)

قال له عمر : يا ابن الاتانة تأخذ بالفرع وتدع الأصل ..

ومثل هذه الرواية إنما الغرض منها هو تأكيد مذهب أهل السنة في أن الشر والضلال يتم بمشيئة الله وهو ما يرفضه غيلان والاتجاهات الأخرى مثل الشيعة والمعتزلة التي تؤكد أن الفرد حر الاختيار في سلوك سبيل الخير أو سبيل الشر . وقد اعتبر أهل السنة هذا التصور يعني نسبة خلق الأفعال للعباد وليس لله ..

ويروى السيوطي في تاريخ الخلفاء أخبار عمر بن عبد العزيز : أظهر غيلان القدر في خلافة عمر بن عبد العزيز فاستتابه . فقال : لقد كنت ضالاً فهديتني . فقال عمر : اللهم إن كان صادقاً وإلا فاصلبه واقطع يديه ورجليه فنفذت فيه دعوته فأخذ في خلافه هشام بن عبد الملك وقطعت أربعته وصلب بدمشق في القدر ..

ويروى الشهرستاني في الملل والنحل : كان غيلان يقول بالقدر خيره وشره من العبد وفي الإمامة أنها تصلح في غير قريش من كان قائماً بالكتاب والسنة فهو مستحق لها ولا تثبت إلا بإجماع الأمة . وقيل تاب عن القول بالقدر على يد عمر بن عبدالعزيز فلما مات عمر جاهر بمذهبه فطلبه هشام بن عبدالملك وأحضر الأوزاعي لمناظرته فأفتى الأوزاعي بقتله . فصلب على باب كيسان بدمشق..

ومن خلال التأمل في فكرة القدرية وهذه الروايات نخرج بأن المسألة لا تخرج عن كونها مسألة رأى لم يحتمله أهل السنة وتحرك الحاكم فبطش بصاحبه . إلا أن رواية الشهرستاني تعطينا بعداً آخر للمسألة ينقلنا من جانب الرأى إلى جانب السياسة حيث أنها تشير إلى أن غيلان تصدى لفكرة القرشية ورفضها وهذا يمثل أكبر استفزازاً لخلفاء بنى أمية والعباس من بعدهم الذين يعتمدون على

فكرة النسب لعم الرسول وقريش وضرب هذه الفكرة فى صالح خصومهم الشيعة الذين يرفعون شعار آل البيت العلوى الذى تسترت به الدعوة العباسية فى بدايتها وبعد تمكنها انقلبت عليه ..

يروى السيوطى : لما ولى يزيد بن الوليد دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه وقرب أصحاب غيلان..

وهذه الرواية تشير إلى أن فكرة القدرية لا تستفز الحكام فى شئ ولذا تبناها يزيد وإنما استفزت الفقهاء وحدهم . وهذا من شأنه أن يؤكد أن غيلان راح ضحية السياسة وليس ضحية فكرة الجبر والاختيار ..



الجهم بن صفوان

أضحية عيد الأضحى ..

برز الجهم بن صفوان فى نهاية الحكم الأموى ونادى بفكرة القدر والجبر وعمل على إشاعتها فى العراق وخراسان ..

وقد أصبح الجهم صاحب تيار ووجه بعداء شديد من قبل الفقهاء وتحولت كلمة الجهمية إلى كلمة مرادفة لكلمة الكفر ..

يقول الشهرستانى فى الملل والنحل : الجهمية أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن أحوز المازنى بمرور فى أخر ملك بنى أمية ..

ويتبنى جهم فكرة تأويل صفات الله ورفض التشبيه والتجسيم ورؤية الله سبحانه التى تنادى بها الروايات التى يتبناها أهل السنة وهو بموقفه هذا يلتقى مع الشيعة والمعتزلة ..

إلا أن أهل السنة الذين اعتادوا على قلب الحقائق والتحدث بلغة الغالب وبناء المواقف على أساس أنهم الممثلون للحق وقد منحوا سلطة التفتيش فى عقائد الآخرين - نسبوا إلى جهم الكثير من الإدعاءات التى تدخله فى دائرة الزندقة وبالتالى تبيح دمه ..

ولقد نسب إلى جهم نفى صفت الله وأن الجنة والنار تفنيان وأن من عرف الله ولم ينطق بالإيمان لم يكفر لأن العلم لا يزول بالصمت ..

ولعل تبنى جهم فكرة الخروج على السلطان الجائر التى نادى بها الخوارج كانت السبب المباشر الذى أدى إلى مقتله . إذ أن سيرته تؤكد أنه كان قريباً من البلاط الأموى ولكن وقعت النقمة عليه لتجاوزه الحد وانتقاله من الدعوة إلى فكرة الجبر التى تخدم الخلفاء والحكام وتبرر إنحرافهم ومظالمهم إلى الدعوة للخروج عليهم ..

ويروى أن مؤسس اتجاه جهم هو الجعد بن درهم مولى بنى الحكم وكان يسكن الشام وعلى صلة وثيقة بالبيت الأموى وقد تولى تربية أولاد بعض الخلفاء ومنه أخذ جهم فكرة الجبر ..

ويروى أيضاً أن عطاء بن يسار وهو أحد قضاة بنى أمية كان يتبنى اتجاه معبد الجهنى الذى يقول

بالإختيار سأل الحسن البصرى قائلاً : يا أبا سعيد إن هؤلاء الملوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون إنما تجرى أعمالنا على قضاء الله وقدره ..

فقال الحسن : كذب أعداء الله ..

وكان قد قبض على الجهد بن درهم وحكم بقتله ونفذ الحكم فى عيد الأضحى ..



ابن المقفع

شهيد الترجمان ..

أسلم عبد الله بن المقفع فى أوائل العصر العباسى على يد عيسى بن على عم المنصور الخليفة وكان على دين المجوس ..

يروى ابن خلكان عن الجاحظ قوله فيه : إن ابن المقفع ومطيع بن إياس ويحيى بن زياد كانوا يتهمون فى دينهم . وكان المهدى بن المنصور يقول : ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع ..

وقال الأصمعى : صنف ابن المقفع المصنفات الحسان منها (الدرة اليتيمة) التى لم يصنف فى فنها مثلها. وقيل له: من أدبك ؟ فقال: نفسى . إذا رأيت من غيرى حسناً اتيته وإن رأيت قبيحاً أبيته .. واجتمع ابن المقفع بالخليل بن أحمد صاحب العروض فلما افترقا قيل للخليل : كيف رأيته ؟ فقال : علمه أكثر من عقله .

وقيل لابن المقفع : كيف رأيت الخليل ؟ فقال : عقله أكثر من علمه

وابن المقفع هو الذى قام بنقل كتاب (كليلة ودمنة) إلى العربية . وله شعر مذكور فى كتاب (الحماسة) ..

وقد اختلفت الروايات فى سبب قتله . فقيل قتل بتهمة الزندقة . وقيل قتل بسبب تهجمه على والى البصرة . وقيل قتل بسبب تهجمه على المنصور ..

يروى أن عبد الله بن على عم المنصور لما ثار عليه وطلب الخلافة لنفسه وانهزم على يد أبى مسلم الخرسانى أرسل فى طلب الأمان من المنصور . فجاء أخويه سليمان وعيسى إلى البصرة وطلبا من ابن المقفع أن يكتب لهما كتابا للمنصور وأمراه أن يبالغ فيه على التأكيد كى لا يقتله . فكتب ابن المقفع الأمان وشدد فيه حتى قال فى جملة فصوله : ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن على فنساؤه طوالق . ودوابه حبس . وعبيدة أحرار والمسلمون فى حل من بيعته ..

فلما وقف المنصور على الكتاب عظم ذلك عليه وقال : من كتب هذا ؟ قالوا : رجل يقال له ابن

المقفع يكتب لأعمامك . فكتب إلى سفيان والى البصرة يأمره بقتله ..

وذكر شمس الدين أبو المظفر في تاريخه المسمى (مرآة الزمان) الكثير من أخبار ابن المقفع وما جرى له وقتله في سنة خمس وأربعين ومائة ..

وقال المدائني : لما أدخل ابن المقفع على سفيان . قال له : أتذكر ما كنت تقول في أمي ؟

فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي . فقال : أمي مغتلمة إن لم أقتلك قتله لم يقتل بها أحد. وأمر بتنور فسجر ثم أمر بابن المقفع فقطعت أطرافه عضواً عضواً. وهو يلقيها في التنور وهو -أي ابن المقفع- ينظر حتى أتى على جميع جسده ثم أطبق عليه التنور وقال ليس علي في المثلة بك حرج لأنك زنديق وقد أفسدت الناس ..

ويبدو لنا من خلال استقراء الروايات التاريخية الخاصة بابن المقفع وغيره من أصحاب الرأي في تاريخ المسلمين إن تهمة الزندقة كانت الساتر الذي يتستر به الحكام ويبررون على أساسه إراقة دماء أصحاب الرأي ..

وفيما يخص ابن المقفع هنا فإننا نشك في تلك الروايات التي تشير إلى تهجمه على المنصور أو والي البصرة كما نشك في الرواية التي تتهمه بالزندقة .

فقد اعترف شهود عصره له بالمكانة العالية بين أهل الأدب وحسن الخلق وهذا يتنافى مع ما ينسب إليه من تهجمه على المنصور ووالي البصرة والتي لا تدل إلا على سفاهة وقلة عقل إذ بهذا الموقف يضع رقبته تحت السيف ..

يروى ابن خلكان ان ابن المقفع كان يستخف بسفيان كثيراً . وكان انف سفيان كبيراً فكان إذا دخل عليه قال : السلام عليكما يعني نفسه وأنفه .

وقال سفيان يوماً : ما ندمت على سكوت قط .

فقال له ابن المقفع : الخرس زين لك فكيف تندم عليه .

والظاهر أن المؤرخين يريدون التأكيد على أن ابن المقفع كان يحتمي بأعمام المنصور . ولو صح هذا التصور لأمكن لهما انقاذه من القتل ..

ويروى أن سليمان وعيسى أعمام المنصور شفعا له عنده تصوراً منهما أن قتله كان بأمر سفيان وحده . إلا أنهما عندما تبين لهما أن المنصور هو الذي أمر بقتله تراجعاً عن محاولتهما إنقاذه . وهذا يعني أن مكانتهما عند المنصور كانت مهزوزة بسبب خروج شقيقهم عبد الله عليه ..

إن ماجاء على لسان المهدي - قبل أن يتولى الخلافة ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع - إنما يؤكد لنا أن ابن المقفع كان له دوراً بارزاً في مسألة الترجمات من الفارسية إلى العربية بما تحمل هذه الترجمات من أفكار وآراء تمثل استفزازاً كبيراً للفقهاء والخط السائد . وإن هذا الدور الذي لعبه ابن المقفع في هذا الميدان هو الذي قاده إلى الموت ..



بشار بن برد

ينسب بشار بن برد بن يرجوخ العقيلى إلى الموالى وهو مولى قبيلة عقيل بن كعب وأصله من طخارستان من سبى المهلب بن أبى صفرة سكن البصرة ونبغ فى الشعر والرواية عن الشعراء . وقد ترجم له الأصبهانى فى الأغانى ترجمة طويلة . كذلك الخطيب فى تاريخ بغداد .. ومن شعره :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن .·. بحزم نصيح أو نصاحة حازم

ولاتجعل للشورى عليك غضاضة .·. فريش الخوافى نابع للقوادم

وما خير كف أمسك الغل أختها .·. وما خير سيف لم يؤيد بقائم

وله البيت المشهور :

هل تعلمين وراء الحب منزلة .·. تدنى إليك فإن الحب أقصانى

وله أيضاً :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة .·. والأذن تعشق قبل العين أحياناً

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم .·. الأذن كالعين توفى القلب ماكانا

يروى ابن خلكان : ان بشار كان يمدح المهدى العباسى ورمى عنده بالزندقة فأمر بضربه فضرب سبعين سوطاً فمات من ذلك فى البطيحة بالقرب من البصرة فجاء بعض أهله فحمله إلى البصرة ودفنه بها وذلك سنة سبع . وقيل ثمان وستين ومائة . وقد نيف على تسعين سنة ..

وينسب إليه أنه كان يفضل النار على الأرض . ويصوب رأى إبليس فى امتناعه عن السجود لآدم (ص) . وينسب إليه فى ذلك بيتاً يقول :

الأرض مظلمة والنار مشرقة .·. والنار معبودة مذ كانت النار

وروى إنه فتشت كتبه فلم يصب فيها شئ مما كان يرمى به . وأصيب له كتاب فيه : أنى أردت هجاء آل سليمان بن على بن عبد الله بن العباسى فذكرت قرابتهم من الرسول فامسكت عنهم ..

وروى الطبرى فى تاريخه : كان سبب قتل المهدى لبشار أن المهدى ولى صالح بن داوود أخا يعقوب بن داوود وزير المهدى ولاية فهجاه بشار بقوله ليعقوب :

هم حملوا فوق المنابر صالحاً ∴ أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ يعقوب هجاؤه . فدخل على المهدى وقال له : إن بشاراً هجاك . قال ويلك ماذا قال ؟ قال : يعفينى أمير المؤمنين من إنشاد ذلك . فقال : لابد . فأنشده :

خليفة يزنى بعماته ∴ يلعب بالديسوق والصولجان

أبدلنا الله به غيره ∴ ودس موسى فى حر الخيزران

فطلبه المهدى. فخاف يعقوب أن يدخل عليه فيمدحه فيعفو عنه فوجه إليه من ألقاه فى البطيحة..

ويروى ابن العماد فى شذرات الذهب جـ ١ أحداث عام ١٦٧ هـ : وفيها قتل فى الزندقة بشار بن برد البصرى الأعمى المشهور كان أكمه جاحظ العينين فصيحاً مفوها وكان يمدح المهدى فرمى عنده بالزندقة فضربه حتى مات ..

وقال ابن قاضى شهبة : زنادقة الدنيا أربع : بشار بن برد وابن الراوندى وأبو حيان التوحيدى وأبو العلاء المعرى ..

وهؤلاء الثلاثة افلتوا من القتل على الرغم من صور التضييق والحصار الذى فرض من حولهم فقد خدمتهم ظروف مجتمعاتهم ..

يروى ابن خلكان عن أحمد بن يحى بن إسحاق الراوندى العالم المشهور له مقالة فى علم الكلام وكان من الفضلاء فى عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً . منها كتاب (فضيحة المعتزلة) وكتاب (التاج) وكتاب (الزمرد) وكتاب (القصب) وغير ذلك . وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام . وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه فى كتبهم . توفى سنة خمس وأربعين ومائتين .. (جـ ١ / ٣٥)

وهذا الموقف المناصر لابن الراوندى من ابن خلكان لم يعجب فقهاء عصره والمؤرخين الذين اعتبروه لم ينصف فى سكوته عن ابن الراوندى وهو من مشاهير الزنادقة عندهم وعدوه قد أخطأ فى عدم تجريحه وذكر ضلالاته ومخازيه ..

ومن هؤلاء الذين زندقوه ابن الجوزى والذهبى وابن كثير وابن العماد وغيرهم ..

أما أبو العلاء فقد أتهم بالزندقة من بعض الفقهاء والمؤرخين دون ابن خلكان الذى اتخذ منه نفس

الموقف الذى اتخذه من ابن الراوندى ..

يروي ابن العماد فى شذرات الذهب جـ ٣ أحداث عام ٤٤٩ هـ : وفيها توفى أبو العلاء المعرى اللغوى الشاعر صاحب التصانيف المشهورة والزندقة المأثورة والذكاء المفرط والزهد الفلسفى وله ست وثمانون سنة . ذهب بصره وهو صغير ولعله مات علي الإسلام وتاب من كفرياته وزال عنه الشك . وأوحى أن يكتب علي قبره :

هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

وقيل كان فاسد العقيدة يظهر الكفر ويزعم أن له باطناً وأنه مسلم فى الباطن وأشعاره الدالة على كفره كثيرة منها :

أتى عيسى فأبطل شرع موسى .·. وجاء محمد بصلاة خمس

وقالوا لا نبى بعد هذا .·. فضل القوم بين غد وأمس

ومهما عشت في دنياك هذى .·. فما يخليك من قمر وشمس

إذا قلت المحال رفعت صوتى .·. وإن قلت الصحيح أطلت همسى

كذلك الحال بالنسبة للتوحيدى الذى شقى بعقله وضاق بالناس ولم يجد من يفقه فأتهم بالزندقة وكفر بالعلم وضاقت به السبل فأحرق كتبه ..

ومن سوء حظ بشار بن برد أنه وجد فى عصر المهدى المتعصب ضد المسلمين وغير المسلمين والذى اعمل سيفه فى أصحاب الرأى والاتجاهات الأخرى بتهمة الزندقة

ويروى السيوطى فى تاريخ الخلفاء عن أحداث عام ١٦٦ هـ فى سيرة المهدى : وفيها جد المهدى فى تتبع الزنادقة وابادتهم والبحث عنهم فى الآفاق والقتل على التهمة ..



صالح بن عبد القدوس

قتله شعره ..

هو صالح بن عبد القدوس البصري من الموالي وهو مولى الأزد . لقي حتفه على يد المهدي العباسي بسبب بيتين من الشعر نسبا إليه ..

يروي صاحب معجم الأدباء : صالح بن عبد القدوس الشاعر الحكيم اتهمه المهدي بالزندقة وضربه بالسيف فشطره شطرين وصلبه عدة أيام ثم دفن ..

ويروي ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٢ ترجمة رقم ٣٠٣ : أبو الفضل صالح بن عبد القدوس البصري مولى الأزد أحد الشعراء اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله فأحضر فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخليه سبيله. فلما ولى رده وقال ألست القائل:

والشيخ لايترك أخلاقه ∴ حتى يواري في ثرى رمسه

إذا أرعوى عاد إلى جهله ∴ كذي الضنى عاد إلى نكسه

قال : بلى يا أمير المؤمنين ..

قال : فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك .

ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر ..

ويروي : أن المهدي أبلغ عنه أبياتاً عرض فيها بذكر النبي (ص) فأحضره المهدي وقال له : أنت لقائل هذه الأبيات ؟

قال : لا والله يا أمير المؤمنين . ما أشركت بالله طرفة عين . فاتق الله ولا تسفك دمي على الشبهة . وقد قال النبي (ص) : أدرأوا الحدود بالشبهات . وجعل يتلو عليه القرآن حتى رق له وأمر بتخليته . فلما ولى قال : أنشدني قصيدتك السينية . فأنشده حتى بلغ إلى قوله فيها : والشيخ لا

يترك أخلاقه .. فأمر به حينئذ فقتل ..

ومن شعره :

المرء يجمع والزمان يفرق .·. ويظل يرقع والخطوب تمزق

وزن الكلام إذا نطقت فإنما .·. يبدي عيوب ذوي العقول المنطق

ومن الرجال إذا استوت أحلامهم .·. من يستشار إذا استشير فيطرق

حتى يحيل بكل واد قلبه .·. فيرى ويعرف ما يقول وينطق

ما الناس إلا عاملان فعامل .·. قد مات من عطش وآخر يغرق

والناس في طلب المعاش فإنما .·. بالجد يرزق منهم من يرزق

لو يرزقون الناس حسب عقولهم .·. ألفيت أكثر من ترى يتصدق

لكنه فضل المليك عليهم .·. هذا عليه موسع ومضيق

وإذا الجنازة والعروس تلاقيا .·. ورأيت دمع نوائح يترقرق

سكت الذي تبع العروس مبهتا .·. ورأيت من تبع الجنازة ينطق

وكان قتله سنة سبع وستين ومائة ..

وقد عرف ابن عبد القدوس بالحكمة وكان يجلس في مسجد البصرة يقص على الناس وله مناظرات مع المتكلمين . ويتسم شعره بالأمثال والحكم . وله الكثير من الترجمات في تاريخ بغداد لابن الخطيب وتاريخ دمشق لابن عساكر وميزان الاعتدال للذهبي ..



العكوك

أخرجوا لسانه من قفاه ..

كان أبوالحسن علي بن جبلة بن مسلم المعروف بالعكوك من فحول الشعر ومشاهير الشعراء . ولد أعمى وكان من الموالي ..

روى ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٣ ترجمة رقم ٤٦١ على لسان الجاحظ : كان أحسن خلق الله إنشاداً ما رأيت مثله بدوياً ولا حضرياً ..

ومن شعره :

بأبي من زارني مكتتمـا .·. خائفاً من كل شئ جزعا
زائر نم عليـه حسنه .·. كيف يخفي الليل بدراً طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت .·. ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته .·. ثم ما سلم حتى ودعا

ويروى ابن المعتز في طبقات الشعراء : لما بلغ المأمون خبر قصيدة قالها العكوك في حميد بن عبد الحميد الطوسي التي قال فيها :

إنما الدنيا حميد .·. وأياديه الجسام
فإذا ولى حميد .·. فعلى الدنيا السلام

غضب غضباً شديداً وقال : أطلبوه حيثما كان وائتوني به . فطلبوه فلم يقدروا عليه لأنه كان مقيماً في الجبل . فلما اتصل به الخبر هرب إلى الجزيرة الفراتية . وقد كانوا كتبوا إلى الآفاق إن

يؤخذ حيث كان .فهرب إلى الشامات فظفروا به فأخذوه وحملوه مقيداً إلى المأمون فلما صار بين يديه قال له : يا ابن اللخناء . أنت القائل في قصيدتك للقاسم بن عيسى وهو أبو دلف :

كل من في الأرض من عرب ∴ بين باديـة إلى حضـرة
مستعيـر منـك مكرمـة ∴ يسرتـديهـا يـوم مفتخرة

جعلتنا ممن يستعير المكارم منه والافتخار به ..

قال : يا أمير المؤمنين . أنتم أهل بيت لا يقاس بكم لأن الله اختصكم لنفسه عن عباده وأتاكم الكتاب والحكم وأتاكم ملكاً عظيماً . وإنما ذهبت في قولي إلى أقران وأشكال القاسم بن عيسى من هذا الناس ..

فقال : والله ما أبقيت أحداً ولقد أدخلتنا في الكل . وما أستحل دماك بكلمتك هذه . ولكني أستحله بكفرك في شعرك حيث قلت في عبد ذليل مهين فأشركت بالله العظيم وجعلت معه مالكاً قادراً وهو :

أنت الـذي تنـزل الأيام منزلها ∴ وتنقل الدهر من حال إلى حال
وما مددت مدى طرف إلى أحد ∴ إلا قضـيت بأرزاق وآجـال

ذاك الله عز وجل يفعله . أخرجوا لسانه من قفاه . فأخرجوا لسانه من قفاه فمات وكان ذلك في سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد ..

ورثاه أبو العتاهية بقوله :

أبا غانم أما ذراك فواسع ∴ وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره ∴ إذا كـان فيـه جسمـه يتهدم



أحمد الخزاعى

صلب ست سنوات ..

سار الواثق العباسى على نهج أبيه المعتصم وجده المأمون فى التمسك بفكرة خلق القرآن والتعصب لها والبطش بالرافضين لها ..

وفى عام ٢٣١ هـ أصدر أمره إلى والى البصره أن يمتحن الأئمة والمؤذنين بخلق القرآن فعم البلاء والكرب على فقهاء السنة ..

يروى السيوطى : وفى هذه السنة قتل أحمد بن نصر الخزاعى وكان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أحضره من بغداد إلى سامرا مقيداً وسأله عن القرآن : فقال : ليس بمخلوق . وعن الرؤية فى القيامة . فقال : كذا جاءت الرواية .. وروى له الحديث . فقال له الواثق : تكذب . فقال للواثق : بل تكذب أنت . فقال : ويحك يرى كما يرى المحدود والمتجسم ويحويه مكان ويحصره الناظر إنما كفرت برب هذه صفته . ما تقولون فيه ؟

فقال جماعة من فقهاء المعتزلة الذين حوله : هو حلال الضرب . فدعا بالسيف وقال إذا قمت إليه فلا يقومن أحد معى فإنى احتسب خطائى إلى هذا الكافر الذى يعبد رباً . لا نعبده ولا نعرفه بالصفة التى وصفه بها ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيد فمشى إليه فضرب عنقه وأمر بحمل رأسه إلى بغداد: فصلب بها وصلبت جثته فى سامراً واستمر ذلك ست سنين إلى أن ولى المتوكل فأنزله ودفنه ولما صلب كتب ورقة وعلقت فى إذنه فيها هذا رأس أحمد بن نصر الخزاعى دعاه عبد الله الإمام هارون إلى القول بخلق القرآن ونفى التشبيه فأبى إلا المعاندة فعجله الله إلى ناره . ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه عن القبلة برمح ..

ويروى ابن العماد فى شذرات الذهب جـ ٢ أحداث عام ٢٣١ هـ : وفيها قتل أحمد بن نصر الخزاعى الشهيد كان من أولاد الأمراء فنشأ فى علم وصلاح وكتب عن مالك وجماعة وحمل عن هشيم مصنفاته وما كان يحدث ويزرى على نفسه . قتله الواثق بيده لامتناعه عن القول بخلق القرآن ولكونه أغلظ للواثق فى الخطاب . وكان رأساً فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ..

وعلى الرغم من خطأ الرأى الذى تبناه الخزاعى وتصادمه مع نصوص القرآن وهو تبنيه للروايات التى تنسب إلى الرسول (ص) والتى تتعلق بصفات الله سبحانه وتحدده وتجعل له يداً ورجلاً وعيناً وأنه يرى يوم القيامة من قبل الناس ويكلمونه ويضحك ويهبط ويصعد وغير ذلك مما أشارت إليه هذه الروايات التى رفضت من قبل الشيعة والمعتزلة الذين تحالف معهم المأمون والمعتصم والواثق ..

وعلى الرغم من خطأ فكرة القرآن غير مخلوق التى تبناها الحنابلة وأهل السنة . على الرغم من ذلك فإننا نشجب وبقوة موقف الواثق وسلوكه الوحشى مع الخزاعى كما نشجب موقف المعتزلة الذين ينادون بالالتزام بالعقل لتحالفهم مع هذا الطاغية ضد أهل السنة وفتواهم بإباحة دم الخزاعى .

إن الرأى إنما يسود ويتمكن بالحجة والبرهان والحوار لا بالقوة والنفوذ والسيوف . وإن ما تفرضه السيوف هو السياسة وليس الدين .

ولقد جاء المتوكل من بعد الواثق فانحاز إلى أهل السنة وبطش بالمعتزلة والشيعة والاتجاهات الأخرى . ولقن المعتزلة درساً متأخراً وعاه الشيعة من قبلهم فرفضوا الانحياز للحكام أصحاب السيف الذين لا يخدمون الرأى وإنما يخدمون مصالحهم ونفوذهم ..



ابن السكيت

شهيد آل البيت ..

عاصر يعقوب ابن اسحاق المعروف بابن السكيت فترة حكم المتوكل العباسي وهي فترة تعصب وإضطهاد للتيارات الأخرى المنافسة لأهل السنة الذين تبنى المتوكل عقيدتهم ونصر مذهبهم وأطلق أيديهم فبطشوا بالمخالفين ودعوا له على المنابر واعتبروه من الراشدين خاصة بعد أن قام بدعم أهل الرواية أو من يطلق عليهم أهل الحديث وأجزل عطاياهم وأكرمهم وكان زمانه زمان المحدثين كبت فيه أهل العقل والتأويل وتفرقوا في البلاد ما بين شريد وطريد ..

وفي ظل هذا الواقع برز ابن السكيت الذي يقول فيه ابن العماد في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٢/أحداث عام (٢٤٤ هـ) ابن السكيت النحوي صاحب كتاب إصلاح المنطق وتفسير دواوين الشعراء وغير ذلك سبق أقرانه في الأدب مع حظ وافر في السنن والدين ..

وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ٦ / ترجمة رقم ٨٢٧ : كان ابن السكيت يتصرف في أنواع العلوم وكان أبوه رجلاً صالحاً . وكان من أصحاب أبي الحسن الكسائي حسن المعرفة بالعربية ونقل عن ثعلب قوله : أجمع أصحابنا أنه لم يكن بعد ابن الإعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت ونقل عن بعضهم قوله : ما عبر على جسر بغداد كتاب في اللغة مثل (إصلاح المنطق) ولا شك إنه من الكتب النافعة الممتعة الجامعة لكثير من اللغة ولانعرف في حجمه مثله في بابه ..

ولابن السكيت الكثير من المصنفات منها : كتاب (الألفاظ) وكتاب (الأمثال) وكتاب (المقصو والممدود) وكتاب (المذكر والمؤنث) وكتاب (الأجناس) وكتاب (الأصوات) وكتاب (الأضداد) وكتاب (النوادر) وكتاب (معاني الشعر الكبير) وكتا ب (معاني الشعر الصغير) وكتاب (سرقات الشعراء وما اتفقوا عليه) وغير ذلك ..

وكان لابن السكيت شعر منه :

ومن الناس من يحبك حباً .·. ظاهر الحب ليس بالتقصير

فإذا ما سـألته عشر فلس .·. الحق الحب باللطيف الخبير

ومنه ما قاله في المعتز ابن المتوكل :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه .·. وليس يصاب المرء من عثرة الرجل

فعثرته في القول تذهب رأسه .·. وعثرتـه بالرجـل تبـرأ فى مهـل

ومنه :

إذا اشتملت على اليأس القلوب .·. وضـاق لما به الصدر الرحيب

وأوطنـــت المكـــاره واستقـرت .·. وأرست فى أماكنها الخطوب

ولـم تـر لانكشـاف الضر وجهاً .·. ولا أغنـى بحيلتـه الأريـب

أتاك عـلى قنـوط منـك غـوث .·. يمن به اللطـيف المستـجيب

وكـل الحادثـات إذا تنـاهـت .·. فمـوصـول بهـا فـرج قريـب

وروى ابن خلكان أن المتوكل كان كثير التحامل على على بن أبى طالب وعلى الحسن والحسين . وكان قد ألزم ابن السكيت بتأديب ولده المعتز بالله .

وعن قصة مقتله يروى ابن خلكان عن أحمد بن عبيد قال : شاورنى ابن السكيت فى منادمة المتوكل فنهيته فحمل قولى على الحسد وأجاب إلى ما دعى إليه من المنادمة فبينا هو مع المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال له المتوكل : أيما أحب إليك . ابناى هذان أم الحسن والحسين ؟ فغض ابن السكيت من ابنيه وذكر من الحسن والحسين ما هما أهله . فأمر الأتراك فداسوا بطنه فحمل إلى داره. فمات بعد غد ذلك اليوم ..

وكان ابن السكيت يميل فى رأيه واعتقاده إلى مذهب من يرى تقديم على بن أبى طالب أي على الخلفاء الثلاثة . وكان من المغالين فى حب آل البيت ..

وفى رواية أخرى كان رد ابن السكيت على المتوكل أشد وأكثر تطرفاً حيث قال : والله ان قنبر خادم الإمام على خير منك ومن ابنيك .

فقال المتوكل فى غضب : سلوا لسانه من قفاه . ففعلوا ذلك به فمات فى عام ٢٤٤ هـ فى شهر رجب ..



النسائى

مات ضحية رواياته ..

كان عصر أحمد بن على بن شعيب النسائى هو عصر الجمع والتدوين للروايات وقد عاصر البخارى ومسلم وغيرهما من جامعى الأحاديث وحاز على مكانة عالية بين فقهاء الحديث فى عصره فتقدمهم وكان عمدتهم وقدوتهم ..

وقد سكن مصر فترة من الزمن واشتهر بها وانتشرت تصانيفه بها وأخذ عنه الناس ثم رحل منها فى عام ٣٠٢ هـ ..

يروى ابن خلكان : ان النسائى فارق مصر فى آخر عمره وخرج إلى دمشق فسئل عن معاوية وماروى من فضائله . فقال : أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتى يفضل ؟

وفى رواية أخرى : ما أعرف له فضيلة إلا (لا شبع الله بطنك) وكان يتشيع فما زالوا يدفعون حضنه حتى أخرجوه من المسجد .

وفى رواية أخرى : يدفعون فى خصيبه وداسوه ثم حمل إلى الرملة فمات بها .

وقال الدار قطنى : لما امتحن النسائى بدمشق . قال : أحملونى إلى مكة فحمل إليها فتوفى بها وهو مدفون بين الصفا والمروة ..

وكان قد صنف كتاب (الخصائص) فى فضل على بن أبى طالب وأهل البيت . فقيل له : ألا تصنف كتاباً فى فضائل الصحابة . فقال : دخلت دمشق والمنحرف عن على كثير فأردت أن يهديهم الله تعالى بهذا الكتاب ..

وقال السيوطى فى حسن المحاضرة : النسائى الحافظ شيخ الإسلام أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين والإعلام المشهورين جال البلاد واستوطن مصر ..

وقال الحاكم : النسائى أفقه مشايخ أهل مصر فى عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار واعرفهم بالرجال ..

وقال الذهبي : هو أحفظ من مسلم له من المصنفات السنن الكبرى والصغرى وهى إحدى الكتب الستة وخصائص على ومسند على ومسند مالك ولد سنة خمس وعشرين ومائتين ..

وقال ابن العماد فى شذرات الذهب حـ ٢ أحداث عام ٣٠٣ هـ : وفيها توفى الإمام أحد الاعلام صاحب المصنفات التى منها السنن أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائى - نسبة إلى نسا مدنية بخراسان - توفى ثالث عشر صفر وله ثمان وثمانون سنة سمع قتيبة وأسحق وطبقتهما بخراسان والحجاز ومصر والشام والعراق والجزيرة وكان رئيساً نبيلاً حسن البزة كبير القدر خرج حاجاً فامتحن بدمشق وأدرك الشهادة ..

إن مصرع النسائى على يد أنصار معاوية والمتعصبين له من أهل الشام بسبب رفضه الاعتراف به ونقل الروايات التى تمدحه وتحسن صورته فى أعين المسلمين - يمثل أكبر إدانة لعصر الروايات

ومن جهة أخرى هو يكشف لنا أن الاتجاه الغالب فيما يتعلق بالجمع والتدوين هو الاتجاه المناصر لخط معاوية والخط الحكومي الذى ساد بداية من أبى بكر وحتى العباسيين . وهو الخط المعادى لاتجاه الإمام على وشيعته . فمن ثم أعتبر النسائى شاذاً عن الناس وعن أهل السنة لاهتمامه بالإمام على وجمع الروايات فى فضله على لسان الرسول (ص) ..

وكان نتيجة هذا الموقف إن أعتدى عليه الشوام أنصار معاوية وخطه بالضرب حتى مات دون أن يحاول أحد نصرته أو الدفاع عنه ..

ويبدو أن موقف النسائى من معاوية كان عنيفاً وصلباً ويظهر هذا من تحديه لأنصاره بذكر الرواية الشهيرة التى أوردها مسلم فى كتابه والتى تنص على أن رسول الله (ص) أرسل ابن عباس فى المدينة ليستدعى له معاوية ليكتب له كتاباً . فعاد ابن عباس إلى الرسول يقول : إنه يأكل يا رسول الله . فقال الرسول : لا أشبع الله بطنه ..

ومثل هذه الرواية إنما تذم معاوية لا تمدحه وقد مثل ذكرها استفزازاً كبيراً لأنصار معاوية دفع بهم إلى ضربة حتى الموت ..

ومن المعروف أن البخارى لم يرو شيئاً فى معاوية سوى رواية واحدة جاءت على لسان ابن عباس وليس على لسان الرسول وقد وضعها تحت باب أسماه (باب ذكر معاوية) . وجاء ابن حجر شارح البخارى فأقر واعترف بذلك ونقل الكثير من الأقوال التى تؤكد عدم صحة الروايات الخاصة بمعاوية . وعلى رأسها مقالة اسحاق بن راهوية أستاذ البخارى وغيره من المحدثين التى قال فيها : لم تصح فى معاوية منقبة ..

إن موقف النسائى هذا إنما يعكس لنا شجاعته فى الرأى وصلابته فى التمسك به وبرهنته على صحته . إلا أنه جهر به فى ظل عصر الجمود والإنغلاق والتعصب فكانت النتيجة أن سقط شهيداً لرأيه ورواياته ..



الحلاج

اتفق المؤرخون على أن الحسين بن منصور الحلاج زاهد مشهور كان يظهر التصوف والكرامات وهو فارسى الأصل نشأ بالعراق ..

وينقل المؤرخون إختلاف الناس فيه بين معظم له ومكفر ..

يقول ابن خلكان فى وفيات الأعيان ج ٢ . ترجمة رقم ١٨٩ : الناس فى أمره مختلفون فمنهم من يبالغ فى تعظيمه ومنهم من يكفره . ورأيت فى كتاب مشكاة الأنوار للغزالى فصلاً طويلاً عن حاله وقد اعتذر عن الألفاظ التى كانت تصدر عنه مثل قوله (أنا الحق) وقوله (ما فى الجبة إلا الله) وهذه الإطلاقات التى ينبو السمع عنها وعن ذكرها وحملها كلها على محامل حسنة وأولها . وقال : هذا من فرط المحبة وشدة الوجد ..

وقال ابن الأثير فى تاريخه ج ٨ / ١٢٦ : كان يظهر الزهد والتصوف والكرامات ويخرج للناس فاكهة الشتاء فى الصيف وفاكهة الصيف فى الشتاء ، ويمد يده فى الهواء ويعيدها مملوءة دراهم عليها مكتوب : قل هو الله أحد ويسميها دراهم القدرة ويخبر الناس بما يأكلون وما يصنعون فى بيوتهم . ويتكلم بما فى ضمائر الناس .فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول . وبالجملة فإن الناس اختلفوا فيه اختلافهم فى المسيح (ع) . فمن قائل إنه حل فيه جزء إلهى ويدعى فيه الربوبية .

ومن قائل انه ولى الله تعالى وان الذى يظهر منه من جملة كرامات الصالحين .

ومن قائل إنه مخرق ومستغش وشاعر كذاب ومتكهن والجن تطيعه فتأتيه بالفاكهة بغير أوانها .

وكان قدم من خراسان إلى العراق وسار إلى مكة فأقام بها سنة فى الحجر لا يستظل تحت سقف شتاءً ولا صيفاً . وكان يصوم الدهر فإذا جاء العشاء أحضر له الخادم كوز ماء وقرصاً فيشربه ويعض من القرص ثلاث عضات من جوانبه ويترك الباقى ولا يأكل شيئاً آخر إلى آخر النهار . وكان شيخ

الصوفية بمكة عبدالله المغربي يأخذ أصحابه إلى زيارة الحلاج فلم يجده في الحجر وقيل قد صعد إلى جبل أبي قبيس . فصعد إليه فرآه على صخرة حافياً مكشوف الرأس والعرق يجري منه إلى الأرض . فأخذ أصحابه وعاد ولم يكلمه وقال : هذا يتصبر ويتقوى على قضاء الله وسوف يبتليه الله بما يعجز عنه صبره وقدرته وعاد الحسين إلى بغداد ..

وقد نسب إلى الحجاج شعراً يقول :

لا كنت أن كنت أدري كيف كنت ولا .·. لا كنت أدري كيف لم أكن

ويقول :

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له .·. إياك إياك أن تبتل بالماء

ويروي ابن خلكان عن العباس بن سريج كان إذا سئل عن الحلاج قال : هذا رجل خفي عني حاله وما أقول فيه شيئاً ..

وكان قد جرى منه كلام في مجلس حامد بن العباس وزير المقتدر العباس بحضرة القاضي أبي عمر فأفتى بحل دمه وكتب خطه بذلك ,كتب معه من حضر المجلس من الفقهاء . فقال لهم الحلاج : ظهري حمى ودمي حرام و ما يحل لكم أن تتأولوا على بما يبيحه وأنا اعتقادي الإسلام ومذهبي السنة وتفضل الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين وبقية العشرة من الصحابة ولي كتب في السنة موجودة في الوراقين فالله الله في دمي ولم يزل يردد هذا القول وهم يكتبون خطوطهم إلى أن استكملوا ما أحتاجوا إليه ونهضوا من المجلس وحمل الحلاج إلى السجن ..

وكتب الوزير إلى المقتدر يخبره بما جرى في المجلس وسير الفتوى فعاد جواب المقتدر بأن القضاة إذا كانوا قد افتوا بقتله فليسلم إلى صاحب الشرطة وليتقدم إليه بضربه ألف سوط فإن مات من الضرب وإلا ضربه ألف سوط أخرى ثم تضرب عنقه . فسلمه الوزير إلى الشرطي وقال له ما رسم به المقتدر وقال : إن لم يتلف بالضرب فتقطع يده ثم رجله ثم يده ثم رجله ثم تحز رقبته وتحرق جثته وإن خدعك وقال لك : أنا أجري الفرات ودجلة ذهباً وفضة فلا تقبل ذلك منه ولا ترفع العقوبة عنه . فتسلمه الشرطي ليلاً في ذي القعدة سنة تسع وثلاثمة فأخرجه عند باب الطاق واجتمع من العامة خلق كثير لا يحصى عددهم وضربه الجلاد ألف سوط ولم يتأوه بل قال للشرطي لما بلغ ستمائة : أدع بي إليك فإن لك عندي نصيحة تعدل فتح قسطنطينية . فقال له : قد قيل لي عنك أنك تقول هذا وأكثر وليس إلى أن أرفع الضرب عنك سبيل . فلما فرغ من ضربه قطع أطرافه الأربعة ثم حز رأسه وأحرق جثته ولما صارت رماداً ألقاها في دجلة . ونصب الرأس ببغداد على الجسر وجعل أصحابه يعدون أنفسهم برجوعه بعد أربعين يوماً ..

وقال ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب في أخبار من ذهب ج ٢ / ٢٥٣ في ترجمة الحلاج :

تصوف الحجاج وصحب سهل بن عبدالله التستري ثم قدم بغداد فصحب الجنيد والنوري وتعبد فبالغ في المجاهدة والترقب ثم فتن ودخل عليه الداخل من الكبر والرياسة فسافر إلى الهند وتعلم السحر فحصل له به حال شيطاني وهرب منه الحال الإيماني ثم بدت منه كفريات اباحت دمه وكسرت صنمه واشتبه على الناس السحر بالكرامات فضل به خلق كثير وقد جال هذا الرجل بخراسان وما وراء النهر والهند وزرع في كل ناحية زندقة . وأجمع فقهاء بغداد أنه قتل كافراً . وذكر قصة قتله ..

والذي يظهر لنا من هذه الروايات أن هناك تخبط في الحكم على حال الحلاج وخلاف بين رموز عصره في أمره . وهذا وحده كاف للشك فيما نسب إليه من كفر وزندقة .

ومن جانب آخر فإن هذه الروايات التي تتعرض لكرامات الحلاج يشم منها رائحة الاختلاق إذ أن نسبة الخيال فيها عالية جداً بحيث تفوق حال الرسل (ص) فإن المعجزات التي وقعت على يد الرسل تعد ضئيلة بالقياس إلى المعجزات المنسوبة للحلاج ..

ويبدو لنا من خلال هذا الانتقام الوحشي من الحلاج من جلده وتقطيع أوصاله ثم ضرب عنقه وحز راسه وحرق جثته وذر رمادها في نهر دجلة . إن الأمر يشم فيه رائحة السياسة والعداء للسلطة القائمة ولا صلة له بهذه الإدعاءات التي نسبت إليه ..

ولو سلمنا بصحة هذه المعجزات التي ينسبونها إليه والتي وصلت إلى درجة قدرته على أن يجرى الفرات ودجلة ذهباً وفضة ويغرى جلاده بشئ من هذا وما هو يعدل فتح القسطنطينية فإن ذلك يعني أنه يملك أن يدرأ الشر عن نفسه ويدفع عنها الموت ويلحق الأذى بمعذبيه . إلا أن شيئاً من هذا لم يحدث بل أن ما أكدته هذه الروايات هو أنه كان مستسلماً تماماً لمصيره ولجلاده الذي اخذ يتعامل معه كما يتعامل مع الأضحية ..

يروى ابن خلكان أنه إطلع علي كتاب الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين الجويني ووجد فيه أنه ذكر عن الحلاج أنه تحالف مع قوم لقلب الدولة وإفساد المملكة واستعطاف القلوب واستمالتها . وقد أنكر ابن خلكان هذا الإدعاء ..

وما يلفت النظر هنا ليس هو إنكار ابن خلكاك القاضي والذي يدور في فلك الحكم ويشارك فقهاء عصر الحجاج وعصره موقفهم المتشدد والمعادي للمخالفين لهم وللخط السائد . وإنما يلفت النظر هو أن هذا الكلام لإمام كبير من أئمة أهل السنة صاحب دور كبير في قمع المخالفين ومقاومة الرأي الآخر .. وهو في النهاية يؤكد ما أشرنا إليه من إن مسألة الحجاج مسألة سياسية وإن تهمة الزندقة كانت التهمة السائدة في ذلك الزمان والتي تلصق بالرموز والحركات الإسلامية المناهضة للحكم القائم ..

ولعل هذه الأبيات التي نسبت إليه وهو مصلوب تشير إلي ذلك :

طلبت المستقر بكل أرض .:. فلم أر لي بأرض مستقراً

أطعت مطامعي فاستعبدتني .:. ولو أني قنعت لكنت حراً



محمد بن على الشلمغانى

روى ابن العماد فى شذرات الذهب جـ ٢ عن أحداث عام ٣٢٢ هـ : وفيها اشتهر محمد على الشملغانى ببغداد وشاع أنه يدعى الألوهية وأنه يحيى الموتى وكثر ابتاعه فأحضره الوزير ابن مقلة عند الخليفة الراضى بالله فسمع كلامه وأنكر الالهية . وقال إن لم تنزل العقوبة بعد ثلاثة أيام وأكثره تسعة أيام وإلا فدمى حلال . وكان هذا الشقى قد أظهرا الرفض - التشيع - ثم قال بالتناسخ والحلول ومخرق على الجهال وضل به طائفة وأظهر شأنه الحسين بن روح زعيم الرافضة فلما طلب هرب إلى الموصل وغاب سنتين ثم عاد وأدعى الالهية فتبعه فيما قيل الذى وزر للمقتدر الحسين بن الوزير عبيد الله بن وهب . فلما قبض عليه ابن مقله كبس بيته فوجد فيه رقاعاً وكتبا مما قيل عنه يخاطبونه فى الرقاع بما لا يخاطب به البشر وأحضر فأصر على الإنكار . فقال الراضى للشلمغانى أنت زعمت أنك لا تدعى الربوبية ثم أحضر غير مرة وجرت لهم فصول وأحضرت الفقهاء والقضاة ثم أفتى الأئمة بإباحة دمه فأحرق فى ذى القعدة ..

ويروى ابن الأثير فى الكامل : فى سنة اثنين وعشرين وثلاثة قتل أبو جعفر محمد بن على الشلمغانى المعروف بابن أبى القراقر وشلمغان التى ينسب إليها قرية بنواحى واسط بالعراق . وسبب ذلك أنه قد أحدث مذهباً غالياً فى التشيع والتناسخ وحلول الالهية فيه إلى غير ذلك .. وظهر عنه ببغداد أنه يدعى لنفسه الربوبية .. فلما كان فى شوال قبض عليه الوزير ابن مقله وسجنه وكبس داره فوجد فيها رقاعاً وكتباً مما يدعى عليه أنه على مذهبه . فأنكر مذهبه وأظهر الإسلام وتبرأ مما يقال فيه وفى آخر الأيام أفتى الفقهاء بإباحاة دمه فصلب ابن الشلمغانى ..

ويظهر لنا من هاتين الروايتين أن ما جرى لابن الشلمغانى فى العصر العباسى يشبه إلى حد كبير ما يجرى اليوم لأصحاب الفكر والرأى والفارق الوحيد بين الحالتين هو أسلوب معالجة القضية فقد أختلف لاختلاف الواقع ..

وفى دولة آل سعود اليوم يجرى لأصحاب الفكر والرأى ما كان يجرى لهم فى العصور السابقة حتى أنهم لازلوا يقتدون بسلفهم من حكام بنى أمية والعباس فى التمسك بسنة ضرب الرقاب بالسيف الذى وضعوه شعاراً لهم تحت كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله وكأنهم بهذا يؤكدون أن الإسلام دين الدم وقطع الرقاب ولا يعد هذا بغريب على حكم يعتبر امتداد لحكم بنى أمية والعباس .

. وقد ضبط مع الشلمغانى إبراهيم بن أبى عون وأحمد بن محمد بن عبدوس وابن شبيب الزيات والحسين بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب وكانت الكتب التى تم ضبطها فى بيت الشلمغانى بخطوطهم . وقد أعدم ابن عود مع الشلمغانى بينما قبض على الحسين بن القاسم بالرقة وأرسل إلى الراضى الذى أمر بقتله فى آخر ذى القعدة ..



عمارة اليمنى

حاول قلب نظام الحكم ..

جاء الفقيه عمارة بن أبى الحسن الحكمى اليمنى الملقب نجم الدين الشاعر المشهور إلى مصر عام (٥٥٠ هـ) فى حكم الخليفة الفائز الفاطمى والوزير الصالح بن رزيك رسولاً من قبل قاسم بن هاشم بن فليتة صاحب مكة ..

وأنشد يقول فى مدحهما :

الحمد للعيس بعد العزم والهمم ∴ حمداً يقوم بما أولت من النعم

لا أجحد الحق عندى للركاب يد ∴ تمنت اللجم فيها رتبة الخطم

قربن بعد مزار العز من نظرى ∴ حتى رأيت أمام العصر من أمم

ورحن من كعبة البطحاء والحرم ∴ وفداً إلى كعبة المعروف والكرم

فهل درى البيت أنى بعد فرقته ∴ ماسرت من حرم إلا إلى حرم

حيث الخلافة مضروب سرادقه ∴ بين النقيضين من عفو ومن نقم

والإمامة أنوار مقدسة تجلو ∴ البغيضين من ظلم ومن ظلم

وللنبوة آيات تنص لنا ∴ على الخفيين من حكم ومن حكم

وللعلا ألسن تثنى محامدها ∴ على الحميدين من فعل ومن شيم

وراية الشرف البذاخ ترفعها ∴ يد الرفيعين من مجد ومن همم

ثم غادر مصر إلى الحج وعاد إليها رسولاً من صاحب مكة مرة ثانية فأقام فيها ولم يفارقها حتى سقطت دولة الفاطميين وجرى له ما جرى ..

يروى ابن خلكان ج ٣ / ترجمة رقم ٤٨٩ : كان عمارة فقيهاً شافعياً شديد التعصب لأهل السنة أديباً ماهراً شاعراً مجيداً ممتعاً . فأحسن الصالح بن زريك إليه كل الإحسان وصحبوه مع اختلاف العقيدة لحسن صحبته وله فى الصالح وولده مدائح كثيرة وزالت دولة المصريين وهو فى البلاد . ولما ملك صلاح الدين مدحه ومدح جماعة من أهل بيته ويتضمن ديوانه جميع ذلك وكتب الى صلاح الدين قصيدة متضمنة شرح حاله وضرورته وسماها شكاية المتظلم ونكاية المتألم وهي بديعة . ورثى إصحاب القصر عند زوال ملكهم بقصيدة لامية طويلة أجاد فيها .. ثم إنه شرع فى أمور وأسباب من الاتفاق مع جماعة من رؤساء البلد على التعصب للمصريين - الفاطميين - وإعادة دولتهم فأحس بهم السلطان صلاح الدين وكانوا ثمانية من الأعيان ومن جملتهم الفقيه عمارة وشنقهم يوم السبت ثانى شهر رمضان سنة تسع وستين وخمسمائة بالقاهرة . وله تواليف منها (أخبار اليمن) وفيه فوائد . ومنها (النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية) وغير ذلك ..

وقال العماد الأصبهانى فى الخريدة ج ٣ / ١٠٣ : أنه صلب فى جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير على صلاح الدين ومكاتبة الأفرنج واستدعاؤهم إليه حتى يجلسوا ولد العاضد - آخر الخلفاء الفاطميين فأفتى الفقهاء بمصر بقتله وحرضوا السلطان على المثلة بمثله ..

ويروى ابن العماد فى شذراته ج ٤ أحداث سنة ٥٦٩ هـ : وفيها الفقيه عمارة بن على الحكمى اليمنى الشافعى نجم الدين نزيل مصر وشاعر العصر كان شديد التعصب للسنة أديباً ماهراً لم يتزل ماشى الحال فى دولة المصريين إلى أن ملك صلاح الدين فمدحه ثم أنه شرع فى أمور وأخذ فى اتفاق مع الرؤساء فى التعصب للعبيديين وإعادة دولتهم فنقل أمرهم وكانوا ثمانية إلى صلاح الدين فشنقهم في رمضان ..

ويروى ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة عن هذه السنة : وفيها قبض صلاح الدين على جماعة من أعيان الدولة العبيدية مثل داعى الدعاة وعمارة اليمنى وغيرهما . بلغه أنهم يجتمعون على إثارة الفتن واتفقوا مع السودان وكاتبوا الأفرنج فقتل داعى الدعاة وصلب عمارة اليمنى ..

ويبدو لنا من خلال هذه الروايات إنها متناقضة . ففى الوقت الذى تمدح عمارة وتثنى عليه ، تنسبه إلى متعصبى أهل السنة . تنسبه فى الوقت نفسه إلى الشيعة وتدخله فى دائرة التحالف معهم من أجل الإطاحة بحكم صلاح الدين وطرد الأكراد من مصر وإعادة الحكم الفاطمى ..

ويحاول المؤرخون إثبات ذلك من خلال رواية تقول إن الصالح طلائع دعاة إلى التشيع وكتب له قصيدة فى ذلك فغطى القدر على بصره حتى أراد أن يتعصب لهم ويعيد دولتهم فهلك وعلى ضوء هذا التصور يكون عمارة قد راح ضحية السياسة . إلا أن غير المتصور أن يكون هذا العدد الذى ذكرته الروايات - ثمانية - يمكن أن يوجه له مثل هذا الاتهام الذى يتطلب وجود عدد كبير من المصريين كان يقف من وراء الثمانية . إلا أن الاتهام أقتصر عليهم وحدهم . ومثل هذا الموقف من

قبل صلاح الدين يشبه إلى حد كبير تلك الاتهامات العصرية التي توجه للمثقفين وأصحاب الفكر والاتجاه المخالف للخط السائد بالتآمر لقلب لنظام الحكم . وهى تهمة مألوفة كثيراً ما توجه إلى نفر يعد على الأصابع إلا أن ما نميل إليه بشأن عمارة هو أن دور صلاح فى مصر وتآمره لإسقاط الحكم الفاطمى وبطشه بالشيعة الذين كانوا يمثلون الأغلبية وإصداره لقرار متعصب نص على إراقة دم من لا يلتزم بمذهب الشافعى فى الفقه ومذهب الأشعرى فى العقيدة كل ذلك يدفع بنا إلى الحكم ان عمارة سقط شهيداً لمخالفته الخط السائد الذى عمل صلاح الدين على فرضه على الناس أى كانت نوع هذه المخالفة فهى كافية لإراقة الدماء فى ظل نظام سنى متعصب لا يعرف للتسامح سبيلاً ..



السهروردى

قتل جوعاً بأمر صلاح الدين ..

هو أبو الفتوح يحى بن حبش بن أميرك المعروف بشهاب الدين السهروردى كان من مشاهير علماء عصره فى الحكمة والفلسفة وله شعر مشهور ..

نقل ابن خلكان عن طبقات الأطباء : كان السهروردى، أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية جامعاً للفنون الفلسفية بارعاً فى الأصول الفقهية مفرط الذكاء فصيح العبارة وكان علمه أكثر من عقله . (الوفيات ج ٦ ترجمة رقم ٨١٣) ..

وللسهروردى الكثير من المصنفات منها كتاب (التنقيحات) أو(التحقيقات) فى أصول الفقه . وكتاب (التلويحات) . وكتاب (الهياكل) وكتاب (حكمة الإشراق) . وله رسالة تسمى (الغربة الغريبة) على مثال (رسالة الطير) لابن سينا أوحي بني يقظان له أيضاً . أي أن مدارها النفس وما يتعلق بها فى منظور الحكماء ..

ومن كلماته : الفكر فى صورة قدسية يتطلف بها طالب الأريحية . ونواحى القدس دار لا يطؤها القوم الجاهلون . وحرام على الأجساد المظلمة أن تلج ملكوت السماء . فوحد الله وأنت بتعظيمه ملآن . واذكره وأنت من ملابس الأكوان عريان . ولو كان فى الوجود شمسان لانطمست الأركان فأبى النظام أن يكون غير ما كان ..

وتنسب إليه أشعار منها :

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى ∴ وصبت لمعناها القديم تشوقاً

وتلفتت نحو الديار فشاقها ∴ ربع عفت أطلاله فتمزقا

وقفت تسائله فرد جوابها ∴ رجع الصدى أن لاسبيل إلى اللقا

فكأنما برق تألق بالحمى ∴ ثم انطوى فكأنه ما أبرقا

ومنها :

وارحمـــة للعـاشـقين تكلفـوا .'. ستـر المحبـة والهـوى فـضـاح
بالسـر إن باحـوا تبـاح دمـاؤهم .'. وكـذا دمــاء البـائحين تبـاح
ياصـاح ليس على المحبة مـلامة .'. إن لاح فى أفق الوصـال صبـاح
لا ذنب للعشـاق إن غلب الهـوى .'. كتـمـانهم فنمـا الغرام وباحـوا

ويروى إن خلكان : أقمت بحلب سنين للإشتغال بالعلم ورأيت أهلها مختلفين فى أمره وكل واحد يتكلم على قدر هواه . فمنهم من ينسبه إلى الزندقة والإلحاد . ومنهم من يعتقد فيه الصلاح وأنه من أهل الكرامات ..

ويروى ابن العماد فى شذرات الذهب ج ٤ أحداث عام (٥٨٧ هـ) : وفيها السهروردى الفيلسوف المقتول أحد أذكياء بنى ادم كان رأساً فى معرفة علوم الأوائل بارعاً فى علم الكلام مناظراً محجاجاً منذ هداز هدمردكتوفراغ مزدراياً للعلماء مستهزئاً رقيق الدين قدم حلب واشتهروا أسمه فعقد له الملك الظاهر غازى ولد السلطان صلاح الدين مجلساً فبان فضله وبهر علمه فارتبط عليه الظاهر واختص به وظهر للعلماء منه زندقة وإنحلال فعملوا محضراً بكفره وسيروه إلى صلاح الدين وخوفوه من أن يفسد عقيدة ولده فبعث إلى ولده بأن يقتله بلا مراجعة فخيره السلطان فاختار أن يموت جوعاً لأنه كان له عادة بالرياضة فمنع من الطعام حتى تلف وعاش ستا وثلاثين سنة ..

وينقل ابن العماد عن ابن شهبة : كان دنئ الهمة زرى الخلقة دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل له ثوباً ولا جسماً ولايداً ولا يقص ظفراً ولا شعراً . وكان القمل يتناثر على وجهه ويسعى على ثيابه وكل من يراه يهرب منه وهذه الأشياء تنافى الحكمة والعقل والشرع . وقيل قتل وصلب أياماً . وقيل خير فى أنواع القتل فاختار القتل بالجوع ..

ويروى ابن خلكان : كان شافعي المذهب ويلقب بالمؤيد بالملكوت . وكان يتهم بإنحلال العقيدة والتعطيل ويعتقد مذهب الحكماء المتقدمين . واشتهر ذلك عنه . فلما وصل إلى حلب أفتى علماؤها بإباحة قتله بسبب اعتقاده وما ظهر لهم من سوء مذهبه . وكان أشد الجماعة عليه الشيخين : زين الدين ومجد الدين بنى جهبل ..

وكان ذلك فى دولة الملك الظاهر ابن صلاح الدين فحبسه ثم خنقه بإشارة والده السلطان صلاح الدين وكان ذلك فى خامس رجب سنة سبع وثمانين وخمسمائة بقلعة حلب وكان عمره ثمان وثلاثون سنة ..

ويروى عن القاضى بهاء الدين صاحب سيرة صلاح الدين : أنه ذكر حسن عقيدته وقال : كان

كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام فى ذلك . ولقد أمر صلاح الدين - ولده صاحب حلب بقتل شاب نشأ يقال له السهروردى قيل عنه : إنه معاند للشرائع فقتله وصلبه أياماً ..

ونخرج من هذه الروايات أن حال السهروردى كحال غيره من شهداء الرأى الذين ألقينا الضوء عليهم وهو أن هناك شك فى ثبوت تهمة الزندقة عليه وأن أمره يدور فى محيط الحقد والحسد الذى لازم فقهاء السلطة من السهرودى بسبب قربه من ابن صلاح الدين وحظوته عنده بعد أن فتن به وبهر بحكمته . إلا أن الأمر على ما يظهر من الروايات لم يرضى صلاح الدين الذى ألزم الناس بمذهب الشافعى وعقيدة الأشعرى وحكم بضرب عنق المخالف ..

إن اختلاف الروايات حول السهروردى بين المدح والذم وبين الإيمان والتكفير يعنى أن مانسب إليه على لسان فقهاء السلطة ليس محل ثبوت ويقين . فمن ثم إراقة دمه لم تدعم بتبريرات كافية وإن الدعم الوحيد لها هو أن القاضى والجلاد كان شخصاً واحداً ..



محمد بن جمال الدين مكى العاملى

شهيد العصر المملوكى ..

ينتمى شهيدنا إلى جبل عامل (جنوب لبنان) وهى منطقة كانت مركزاً للتشيع منذ عهد عثمان بن عفان حين أرسل إلى الشام أبى ذر الغفارى ليتولى أمره معاوية هناك إلا أن الرياح جاءت بما لا تشتهى السفن إذ قام أبو ذر بنشاط واسع بين ربوع الشام لنشر دعوة آل البيت وخط الإمام على وقد أخذ يتنقل بين دمشق وبين جبل عامل وتمكن من خلال فترة وجوده فى الشام من تكوين طلائع شيعية مناهضة لمعاوية وبنى أمية . ولعل هذا هو ما دفع بمعاوية إلى أن يكتب لعثمان يخبره أن أباذر أفسد عليه الشام . فأمر عثمان بإعادته إلى المدينة . فارجع إليها مقبوضاً عليه ..

وتشهد وقائع التاريخ أن أباذر الغفارى هو أول من وضع بذرة التشيع فى منطقة جبل عامل التى أصبحت ثانى بقعة شيعية فى العالم بعد الحجاز . إذ لم يكن الإمام على قد انتقل إلى الكوفة بعد لتكون مركزاً لحركته كما أن فارس لم تدخل فى التشيع بشكل كامل إلا بعد العصر الصفوى ..

ولقد أصبحت منطقة جبل عامل مركز إشعاع فكرى ألقى بظلاله على النجف بالعراق وقم بإيران وبقاع أخرى كثيرة . فقد أفرز الكثير من الرموز الفقهية التى كان لها دورها الفاعل فى دعم حركة التشيع وتقويم مسارها ..

وعاصر جبل عامل الكثير من الأحداث والصراعات التى انعكست على واقعة وجمدت مسيرته بداية من العصر الأموى ثم العباسى ثم المملوكى ثم العثمانى . أما على مستوى الداخل فقد نكب بالمعنيين تارة وبالدروز تارة أخرى ..

وسقط من أبناء جبل عامل الكثير من الشهداء على يد الأمويين والعباسيين والأيوبيين والمماليك والعثمانيين والمعنيين والدروز ..

ومن بين هؤلاء الشهداء شهيدنا محمد بن جمال الدين مكى المولود بتاريخ (٧٣٤ هـ) أى فى القرن الثامن الهجرى فى ظل عصر المماليك ..

وكان عصر المماليك يتميز بالصراعات المذهبية والتعصب نتيجة لتلاعب أمر المماليك بالمذاهب

الأربعة واستثمارهم لدعم حكمهم وإضفاء المشروعية عليه كما تلاعبوا بسلالة بنى العباس بعد سقوط دولتهم على يد التتار واستقدموهم إلى مصر ونصبوهم خلفاء لنفس الغرض ..

ومن الطبيعى أن تنشأ من خلال هذا الوضع نزعة عدائية ضد الشيعة لكونها مذهباً يهدد أصول هذه المذاهب وأطروحتها ..

ولم يتورع كثير من فقهاء هذه المذاهب عن إصدار الفتاوى التى تهدد الشيعة وتستبيح دمائهم وأموالهم وعلى رأس هؤلاء الفقهاء ابن تيمية صاحب الفتوى الشهيرة التى استباح على أساسها جنود المماليك منطقة كسروان الشيعية وهى واحدة من مناطق جبل عامل عام (٧٠٥ هـ) ..

ولقد كانت لشهيدنا جولات وصولات فى ميدان الفكر فقد شد الرحال إلى بغداد وكربلاء ومكة والمدينة والشام والقدس والحلة بالعراق والتى كانت مركزاً للثقافة الشيعية فى تلك الفترة .. كما كان على صلة وثيقة بالاتجاهات والرموز السنية فى ميدان الفقه والكلام والرواية ..

ومما يلفت النظر أنه قد برز نبوغه العلمى فى سن مبكرة وشهد له أساتذته وفقهاء عصره من الشيعة الإمامية بذلك وأكثروا من مدحه والثناء عليه ..

وترك لنا الشهيد الكثير من المصنفات القيمة فى مجال الفقه الشيعى مازاد على ثلاثين مصنفاً على رأسها :

- متن اللمعة الدمشقية وهى رسالة فقهية شاملة ..
- الدروس الشرعية فى فقه الإمامية ..
- الألفية وتشمل ألف واجب من واجبات الصلاة ..
- النفلية وتشمل على ثلاثة آلاف نافلة فى الصلاة ..
- القواعد والفوائد ..
- أحكام الأموات ..
- منتخب الزيارات ..
- ذكرى الشيعة فى أحكام الشريعة ..
- البيان فى الفقه ..

وبالإضافة إلى ذلك كانت له نتاجات أدبية وفلسفية وشعرية . ولما حبس من قبل (بيدمر) حاكم دمشق بسبب وشاية من خصومة أنشد يقول :

يا أيهـا الملك المنصـور بيـدمـر .·. بكم خـوارزم والأقطار تفتـخـر
أنـي أراعـي لـكم فـي كـل آونـة .·. ومـا جنيت لعمري كـيف أعتذر
لا تـسمعن في أقوال الوشاة فقد .·. باؤوا بزور وافك ليس ينحـصـر
والله والله أيمانـاً مـؤكـدة .·. إني بريءٌ من الأفك الذي ذكروا
عقيدتي مخلصاً حب النبي ومن .·. أحبـه وصـحـاب كلهم غـرر
الفقه والنحو والتفسير يعرفني .·. ثم الأصـولان القـرآن والأثر

ويبدو أن المكانة العالية التي وصل إليها الشهيد على مستوى الداخل والخارج وبين الناس أثارت فقهاء عصره عليه حيث كانت له علاقات واسعة بالملوك والحكام كما كان على صلة وثيقة بحاكم دمشق بيدمر . وكان الناس كثيراً ما يلجئون إليه لحل مشاكلهم وقد جعل بيته مركزاً للندوات واللقاءات وحل مشاكل الجماهير وكانت تفد عليه أقطاب العلم والسياسة والفقه في وقته ..

وقد أدى هذا الوضع الذي كان فيه الشهيد إلى خوف حاكم دمشق منه وكذلك حسد فقهاء السنة منه وعلى رأسهم برهان الدين بن جماعة قاضي القضاة الذي أخذ يدبر له في مكيدة عند الحاكم ثم جاء دور تقي الدين الجبلي زعيم جماعة منشقة على الشيعة يطلق عليها (اليالوش) كان للشهيد دور كبير في مواجهتها وتصفيتها من وسط الشيعة بسبب فساد عقائدها - فتحالف مع ابن جماعة ضد الشهيد وتم حبسه لمدة سنة وخوفاً من ثورة الناس وغضبها قرر الحاكم التعجيل بقتله وعقدت جلسة حضرها الحاكم والقضاة وجمع من الناس ونشرت المحاضر والشهادات التي شهد بها رجال اليالوش ورجال ابن جماعة والتي تتهم الشهيد بأقاويل وإدعاءات كفرية نسبت إليه ..

ووجهت إليه التهم فأنكر . فلم يقبل منه .

وحكم بضرب عنقه . ثم أمر بصلبه قتيلاً على مشهد من الناس . ثم رجموا الجسد بالحجارة ..

ولم يكتفوا بهذا بل أنزلوا الجسد وأحرقوه ..

والسؤال هنا : هل الإسلام يقر هذه الوحشية ؟

والإجابة بالطبع لا ..

إذن ماذا يمثل هؤلاء .. ؟

والجواب أنهم يمثلون أنفسهم ومصالحهم وأهواءهم ..

إن أمثال هؤلاء الحكام والفقهاء لا يستحقون حتى لقب مسلمين . فهم عار على الإسلام وعلى المسلمين ..

لقد طمس التعصب قلوب أولئك الذين يسمون أنفسهم أهل السنة وصور لهم سلطانهم ونفوذهم

الذى استمدوه من تحالفهم الدائم مع الحكام . أنهم الحق والحق هم ولم تر منهم سوى الشماتة الدائمة من هؤلاء - المقتولين المغضوب عليهم بسبب مخالفتهم وتبنيهم عقائد غير عقائدهم ونهج غير نهجهم ..

يعلق أن العماد الحنبلى فى كتابه شذرات الذهب فى أخبار من ذهب عن أحداث عام (٧٨٦ هـ) التى وقعت فيها هذه الجريمة البشعة بقوله : وفيها قتل محمد بن مكى العراقى الرافضى . كان عارفاً بالأصول والعربية فشهد عليه بدمشق بإنحلال العقيدة واعتقاد مذهب النصيرية واستحلال الخمر الصرف وغير ذلك من القبائح فضربت عنقه بدمشق فى جمادى الأولى وضربت عنق رفيقه بطرابلس وكان على معتقده ..

ومثل هذا الكلام لا يدل على فقه ولا تقوى ولا تجرد وإنما يدل على عصبية وحقد وتبعية للحكام المماليك العبيد ..



زين الدين الجبعى العاملي

قتيل الشبهة

ولد الجبعى عام (٩١١ هـ) فى ربوع جبل عامل وفى ظل حكم آل عثمان وتتلمذ منذ صباه على أيدى فقهاء عصره وانتقل فى شبابه إلى دمشق طلباً للعلم ثم إلى مصر ثم إلى الحجاز ثم عاد إلى موطنه (جبع) حيث التف الناس حوله وذاعت شهرته وأخذ يزاول مهمة التدريس والإفتاء والكتابة ..

وكانت للجبعى اتصالات واسعة برموز عصره من أهل الفقه والأصول والمتكلمين والفلاسفة والأدباء والرياضيين . فلم تكن حصيلته العلمية تنحصر فى دائرة الفقه والعلوم الشرعية بل تجاوز هذا الحد لينهل من العلوم الأخرى ويتتلمذ على يد فقهائها حتى ألم بعلوم الأدب والعلوم العقلية والرياضيات والطبيعيات والمذاهب الإسلامية الأخرى السائدة انذاك ..

ومن أثاره العلمية :

- الروضة البهية فى شرح اللمعة الدمشقية التى قام بتأليفها الشهيد الأول محمد بن مكى
- مسالك الافهام فى شرح شرائع الإسلام ..
- تمهيد القواعد الأصولية والعربية ..
- منية المريد فى آداب المفيد والمستفيد ..
- مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد ..
- حقائق الإيمان ..
- رسالة فى عشرة علوم ..
- منظومة فى النحو ..
- كتاب الرجال والنسب ..
- وجوب صلاة الجمعة ..

- كشف الريبة عن أحكام الغيبة ..

- منار القاصدين فى أسرار معالم الدين ..

ومجموع مصنفاته تزيد على السبعين ما بين كتاب ورسالة ويصفه معاصروه بأنه كان ذو صبر عجيب فى التأليف والنسخ والتصنيف مع كثرة المراجعين له وأسفاره المتواصلة وجهوده الواسعة فى سبيل نشر أفكاره والدفاع عن عقيدته ..

وقد شهد له فقهاء عصره بالنبوغ والاجتهاد وقوة الحفظ واعتبروه من أفضل المتأخرين وأكمل المتبحرين ونادرة الخلف وبقية السلف وقدوة الشيعة ونور الشريعة عالي الفضل والزهد والورع ومحاسنه وأوصافه أكثر من أن تحصى ..

وكانت للشهيد تجارب شعرية فريدة تدل على رقة شخصيته وسعة أفقه وحسن تعبيره وخياله الواسع ..

ونختر له هنا بيتين من شعره لصلتهما بموضوع بحثنا :

لقد جاء فى القرآن آية حكمة .'. تدمر آيات الضلال ومن يجبر

وتخبر أن الاختيار بأيدينا .'. (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر)

وفى عصر الشهيد برزت حركة التشيع فى إيران بزعامة الصفويين الذين دخلوا فى صدام مع العثمانيين ووقعت بنيهم الملاحم . وانعكس هذا الوضع على قطاعات الشيعة الواقعة تحت سيطرة الدولة العثمانية فى العراق والشام خاصة لقربهما من ميدان الصراع مع الصفويين ..

من هنا فقد شدد العثمانيون من رصدهم للشيعة وعملوا على التضييق عليهم ولاحت الفرصة لفقهاء السنة المتربصين كي يضربوا ضربتهم ويقووا شوكتهم عند السلطان على حساب الشيعة فكان أن أرسلت العرائض وكثرت الوشايات عند رستم باشا وزير السلطان سليمان فى الشيخ زين الدين . وأنه ينشر عقيدة الشيعة ويدرس كتبها ويتردد عليه قادتها وفقهاؤها . فأرسل الوزير إليه وأرسله مقبوضاً عليه إلى الأستانة ..

ويروى فى كتاب أمل الأمل ج ١ / ٩٠ : وكان سبب قتله أنه ترافع إليه رجلان فحكم لأحداهما على الآخر . فغضب المحكوم عليه وذهب إلى قاضى صيدا .. فأرسل القاضى إلى (جبع) يطلبه فلم يجده . فكتب إلى السلطان أنه قد وجد ببلاد الشام رجل مبدع عن المذاهب الأربعة . فأرسل السلطان فى طلب الشيخ وقال : أئتونى به حياً حتى أجمع بينه وبين علماء بلادى فيبحثوا معه ويطلعوا على مذهبه فيخبرونى فأحكم عليه بما يقتضيه مذهبى ..

وتم القبض على الشيخ وأرسل إلى الأستانة وفى الطريق تآمر عليه حارسه وقتله وحمل رأسه إلى السلطان .. وكان ذلك فى عام ٩٦٥ هـ ..

ويبدو لنا من خلال موقف قاضي صيدا أن المسألة لا صلة لها بالدين والغيرة على الشريعة وإنما هي مسألة حقد وتربص . فالقاضي استفزه ممارسة الشيخ للقضاء في دائرة نفوذه فانتهز الفرصة وأبلغ عنه السلطان . وهو موقف لا يدل على دين أو تقوى إنما يدل على حقد وعصبية وغيرة عمياء . كما يدل من جهة أخرى على أن أهل السنة طوال تاريخهم كانوا يحتمون بالحكام ويتحصنون بهم في مواجهة خصومهم الذين لم تكن لديهم القدرة على مواجهتهم بالفكر والعقل والحجة ..



ملاحق

ملحق (١)

موجز حوادث الرأى فى تاريخ المسلمين ..

- فرض أبو بكر خليفة للمسلمين بعد وفاة الرسول (ص) ..
- تصفية الرافضين لحكم أبى بكر من العرب فيما سمى بحروب الردة ..
- وصية أبو بكر لعمر بن الخطاب بالخلافة من بعده ..
- وصول عثمان بن عفان للحكم دون مشورة المسلمين ..
- اضطهاد عثمان للصحابة المخالفين لحكمه ..
- نفى أبو ذر الغفارى إلى الربذة ..
- حرق المصاحف التى بين أيدى الصحابة ..
- ظهور الخوارج ومناظرتهم للإمام على وابن عباس ..
- سب الإمام على على المنابر من قبل معاوية وأعوانه ..
- تصفية المعارضين لمعاوية من الصحابة والتابعين ..
- فرض يزيد على الأمة من قبل معاوية وقيام أول نظام ملكى وراثى فى الإسلام ..
- فى عام (١٦٣ هـ) قتل المهدى العباسى جماعة من الزنادقة وصرف همته إلى تتبعهم وأتى بكتب من كتبهم فقطعت بحضرته فى حلب ..
- وفى عام (١٦٧ هـ) جد المهدى فى طلب الزنادقة فى الآفاق وأكثر الفحص عنهم وقتل طائفة..
- وفى عام (١٩١ هـ) أمر هارون الرشيد بتغيير هيئة أهل الذمة ..
- وفى عام (٢١٣ هـ) قتل المأمون على بن جبلة الشاعر الأعمى من الموالى ..
- وفى عام (٢١٨ هـ) امتحن المأمون العلماء بخلق القرآن وكتب فى ذلك إلى نائبه على بغداد وبالغ فى ذلك وقام فى هذا قيام متعبد بها فأجاب أكثر العلماء على سبيل الإكراه وتوقف

طائفة ثم أجابوا وناظروا فلم يلتفت إلى قولهم وعظمت المصيبة بذلك وتهدد على ذلك بالقتل ;.. يصف من علماء العراق إلا أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح فقيداً وأرسلا إلى المأمون وهو بطرس ..

- وفى عام (٢٢٦ هـ) قبض المعتصم العباسى علي الأفشين - كبير الأمراء فى عصره - بتهمة الزندقة وأتى بأصنام من داره أتهم بعبادتها فأحرقت ..
- وفى عام (٢٣٥ هـ) أمر المتوكل العباسي بأخذ أهل الذمة بلبس الطيالس العسلية والزنانير وترك ركوب السروج ونهى أن يستعان بهم فى الدواوين وأن يتعلم أولادهم فى كتاتيب المسلمين ولا يعلمهم مسلم ..
- وفى عام (٢٣٩ هـ) أصدر قراراً آخر بأن يلبسوا رقعتين عسليتين على الأقبية والدراريع وأن يصبغ النساء مقانعهن عسليات وأن يقتصروا على ركوب البغال والحمير دون الخيل والبراذين..
- وفى عام (٢٤٧ هـ) قتل المتوكل أبو الفضل جعفر بن المعتصم وهو الذى أحيا السنة وأمات التجهم - أي قضى على تيار الجهمية ونصر أهل السنة ..
- وفى عام (٢٧٩ هـ) نودى فى بغداد لا يقعد على الطريق منجم ولا تباع كتب الكلام والفلسفة وذلك في عهد المعتمد العباسي ..
- وفى عام (٢٨٣ هـ) أمر المتعصم العباسي بإبطال دواوين المواريث - على مذهب الشيعة وكان قبل ذلك أبطل الإحتفال بعيد النيروز ومنع النيران وأمات سنة المجوس ..
- وفى عام (٣٠١ هـ) أدخل الحلاج بغداد مشهوراً على جمل وعلق مصلوباً ونودى عليه هذا أحد دعاة القرامطة فاعرفوه ثم حبس . وقتل عام (٣٠٩ هـ) .
- وفى عام (٣٠٣ هـ) قتل النسائى المحدث صاحب السنن بعد أن اعتدى عليه أنصار معاوية بالشام بسبب رفضه كتابة كتاب فى معاوية على نسق كتابه (خصائص الإمام على) ..
- وفى عام (٣١٠ هـ) وقع صدام بين الحنابلة والطبرى المفسر والمؤرخ بسبب كتابه (اختلاف الفقهاء) الذى أغفل فيه ذكر ابن حنبل فاهاجوا عليه العامة وقذفوه بالمحابر وطاردوه حتى داره وقذفوه بالحجارة حتى سدت باب الدار وتدخلت الشرطة لحسم الأمر ..
- وفى عام (٣١٧ هـ) وقعت فتنة كبيرة فى بغداد بين الحنابلة وخصومهم بسبب قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) فقالت الحنابلة : معناها يقعد الله على عرشه وقال غيرهم : بل هى الشفاعة ودام الخصام واقتتلوا حتى قتل جماعة كثيرة ..
- وفى عام (٣٣٨ هـ) هاجم السنة الشيعة ووقعت فتنة ونهبت مدينة الكرخ إحدى مدن الشيعة..
- وفى عام (٣٤٨ هـ) وقع صدام آخر وقتل فيه خلق كثير ..
- وفى عام (٣٤٩ هـ) وقعت فتنة أخرى ببغداد وقبض على جماعة من الهاشميين ..

- وفى عام (٣٨٢ هـ) منع الشيعة من عمل المأتم يوم عاشوراء والذى كان يعمل نحواً من ثلاثين سنة ..

- وفى عام (٣٩٣ هـ) قبض على مغربى بالشام أيام الفاطميين وطيف به على حمار ونودى عليه هذا جزاء من يحب أبابكر وعمر ثم ضرب عنقه ..

- وفى عام (٤٠٨ هـ) وقعت فتنة عظيمة بين السنة والشيعة وتفاقمت وقتل طائفة من الفريقين وعجز صاحب الشرطة عنهم وقاتلوه فأطلق النيران فى سوق الدجاج ..

- وفى العام نفسه استتاب القادر بالله العباسى طائفة من المعتزلة والشيعة وأخذ خطوطهم بالتوبة وبعث إلى السلطان محمود بن سبكتكين يأمر ببث السنة فى خر إسان ففعل وبالغ فى قتل جماعة ونفى جماعة كثيرة من المعتزلة والشيعة والجهمية وأمر بلعنهم على المنابر ..

- وفى عام (٤٤٣ هـ) زال الإنس بين السنة والشيعة وعادوا إلى أشد ما كانوا عليه واحكموا الشيعة سوق الكرخ وكتبوا على الأبراج محمد وعلى خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر واضطرمت الفتنة وأخذت ثياب الناس فى الطريق وغلقت الأسواق واجتمع للسنة جمع لم ير مثله وهجموا دار الخلافة فوعدوا بالخير وثار أهل الكرخ والتقى الجمعان وقتل جماعة ونبشت عدة قبور للشيعة وطرحوا النيران فى النراب وتم على الشيعة خزى عظيم فعمدوا إلى خان الحنفية فأحرقوه ..

- وفى عام (٤٨٣ هـ) وقعت فتنة هائلة لم يسمع بمثلها بين السنة والشيعة وقتل بينهم عدد كثير وعجز والى البلد واستظهرت السنة بكثرة من معهم من أعوان الخليفة واستكانت الشيعة وذلوا ولزموا التقية وأجابوا إلى أن كتبوا على مساجد الكرخ خير الناس بعد رسوله (ص) أبو بكر..

- وفى عام (٥٦٧ هـ) أعلن صلاح الدين سقوط الدولة الفاطمية فى مصر وتصفية مذهب الشيعة وأرسل إلى الخليفة العباسى فى بغداد يبشره بذلك واعتقل أولاد آخر الخلفاء الفاطميين الخليفة العاضد والذى توفي في حبسه الذى وضعه فيه صلاح الدين . وقام بتصفية الوجود الشيعى فى مصر بأن أغلق الجامع الأزهر واعدم علماء الشيعة والآلاف من أبناء الشعب فى القاهرة وصعيد مصر ..

- وفى عام (٥٧٤ هـ) أخذ ابن قرايا الشيعى الذى ينشد فى الأسواق ببغداد فوجدوا فى بيته سب الصحابة فقطعت يده ولسانه ورجمته العامة فهرب وسبح فألحوا عليه بالاجر فغرق فاخرجوه وحرقوه ثم وقع التقبيح على الشيعة وأحرقت كتبهم وانقمعوا حتى صاروا فى ذلة اليهود وهذا شئ لم يتهيأ فى بغداد من نحو مائتين وخمسين سنة ..

- وفى عام (٥٩٥ هـ) وقعت الفتنة بين فخر الدين الرازى وبين الكرامية بهراة الذين ثاروا عليه وأرسل السلطان الجند فسكنهم وأمر الرازى بالخروج ..

- وفى عام (٦٠٣ هـ) قبض الخليفة على الركن عبد السلام بن الشيخ عبد القادر وأحرقت كتبه

وحكم بفسقه ..

- وفى عام (٧٠٧ هـ) عقد مجلس بقصر الحاكم فاستتيب النجم بن خلكان من عبارات قبي
ودعاو مبيحة للدم وإدعاء نبوة فاختلفت فيه الآراء ومال إلى الرفق به الشيخ برهان ال
فتاب..

- وفى عام (٧٢٦ هـ) قتل ناصر بن أبى الفضل ضربت عنقه لثبوت زندقته على قاضى القه
شرف الدين بن مسلم الحنبلى ونقل الثبوت إلى قاضى القضاة شرف الدين المالكى فأنة
وحكم بإراقة دمه وعدم قبول توبته وإن أسلم مع العلم بالخلاف وطلع مـ
عالم عظيم فصلى ركعتين وضربت عنقه ..

وفى العام نفسه ضربت عنق توما الراهب الذى أسلم منذ ثلاث سنين وارتد سراً ثم أفشى ذلك ؛
المالكى فقتل وأحرق ..

- وفى عام (٧٣٧ هـ) أخذ بمصر شمس الدين بن اللبان الشافعى وشهد عليه عند الحاكم بعظ
تبيح الدم فرجع ورسم بنفيه ..

وفى العام نفسه قتل بتهمة الزندقة الحموى الحجار بحماة وأحرق وقام عليه قاضى القضاة شـ
الدين ..

- وفى عام (٧٩٥ هـ) اجتمع بالقدس أربعة من الرهبان ودعوا الفقهاء لمناظرتهم فلما اجتمـ
جهروا بالسوء من القول وصرحوا بذم الإسلام فثار الناس عليهم وأحرقوهم ..

- وفى عام (٨٢٠ هـ) كثر اتباع الشيخ نسيم الدين التبريزى نزيل حلب وهوشيخ الحرو
ونشأت بدعته وشاعت فآل أمره إلى السلطان فأمر بقتله فضربت عنقه وسلخ جلده وصلب ..

- وفى عام (٨٣٥ هـ) ثارت فتنة عظيمة بين الحنابلة وإلا شاعرة بدمشق وتعصب الشيخ عـ
الدين البخارى على الحنابلة وبالغ فى الحط على ابن تيمية وصرح بتكفير فتعصب جماعة
الدماشقة لابن تيمية ..

- وفى عام (٩٠٢ هـ) أمر السلطان عامر بن عبد الوهاب بتقييد رئيس الإسماعيلية وعا
سليمان بن حسن بمدينة تعز وأودعه دار الأدب لأنه كان يتكلم بما لا يعينه من المغيبات وأ
بإتلاف كتبه فاتلفت ..

وليس لنا من تعليق على هذه الحوادث سوى ان هؤلاء الحكام وأنصارهم الفقهاء قداستهانوا
بأرواح الناس واستحلوا المخالفين بدافع العصبية والحفاظ على الحكم وليس بدافع الغيرة عـ
الدين . فإن الدين لا يبيح هذه الوحشية والتفنن فى القتل والتمثيل بجثث القتلى . وليس
سلوك هؤلاء الحكام ما يدل على تقوى أو ورع . كما ليس فى مواقف الفقهاء ما يرشد إ
دليل شرعى واضح ومحدد يبيح هذه الجرائم والمنكرات ..



ملحق (٢)

الشورى بين السنة والشيعة

جاء أمر الله لرسوله (ص) (وشاورهم فى الأمر)
وزكى سبحانه المجتمع المسلم بقوله (وأمرهم شورى بينهم)
ومن خلال هذين النصين يتبين لنا أن الشورى ارتبطت بالرسول أولاً .. وبالمؤمنين ثانياً .
والرسول هو قائد الأمة وإمامها .. والمؤمنون هم أصحابه ورعاياه .
وإذا كانت ممارسة الشورى من واجبات النبى المعصوم الموجه من قبل الله سبحانه والذى هو فى رعاية الوحى . فإنها فى حق غير الرسول أشد وجوباً وضرورة .
وإذا كانت الشورى قائمة فى ظل النبوة فإن الحاجة إليها فى ظل المجتمعات البشرية الخالية من نموذج النبى تكون ماسة وشديدة .
ولأن النبى (ص) كان منضبطاً بالقرآن ودوره ينحصر فى تبليغه وتبيينه فإنه من الطبيعى أن يكون قد مارس الشورى وطبقها على أوسع نطاق ممكن .
وكون أن الرسول قد طبق الشورى ومارسها أمر لا خلاف فيه بين الفرق والاتجاهات الإسلامية فمن تم هو أمر لا يحتاج إلى بيان واستفاضة .
أما فى فترة ما بعد الرسول فهذا ما وقع فيه الخلاف .
الطرف السنى يقول إن الشورى ظلت حية نابضة فى عصر الخلفاء الراشدين .
والطرف الشيعى يعتبر أن الشورى ضربت بعد وفاة الرسول (ص) ..
أما بقية الأطراف الأخرى من معتزلة وخوارج وزيدية وغيرهم فهم يتبنون وجهات نظر تتأرجح ما بين هذين الموقفين ..

***المنظور السنى للشورى :**

تعتبر فرقة أهل السنة أن أعظم تطبيق للشورى ى تاريخ الإسلام تركز فى سقيفة بنى ساعدة والذى تمخض عن اختيار أبى بكر خليفة للمسلمين .
إلا أن هذه المقولة فيها نظر إذ أن ما حدث فى سقيفة بنى ساعدة لم يكن شورى بل كان صراعاً قبلياً بين فئتين من قطاعين .
الفئة الأولى هى فئة المهاجرين وتمثلت ى عدة عناصر من المهاجرين كان على رأسهم عمر وأبى بكر

وأبى عبيدة وطلحة .

والفئة الثانية هى الأنصار وتمثلت فى بعض جماعات من الأوس والخزرج .

الفئة الأولى لم تكن تمثل المهاجرين تمثيلاً كاملاً .

والفئة الثانية لم تكن تمثل الأنصار تمثيلاً كاملاً .

وفى الوقت الذى كان يدور فيه الصراع داخل سقيفة بنى ساعدة كان هناك قطاع فاعل من المهاجرين على رأسهم على بن أبى طالب مشغول بتجهيز الرسول للدفن ومعه قطاع آخر من الأنصار غرق فى دوامة الحزن وجمدت حركته وقد شدت أبصاره نحو بيت الرسول حيث يغسل جثمانه الشريف.

هذا فى حدود المدينة أما فى خارجها فلم يكن أحد من المسلمين يعلم بما يجرى فى سقيفة بنى ساعدة ولا بأمر اختيار أبى بكر .

إن المدقق فى أحداث السقيفة سوف يتبين له أن الصراع الذى دار بين فئة المهاجرين وفئة الأنصار قد خرج عن مضمونه الخلقى والشرعى .. [1]

وإذا ما ألقينا الضوء على تجربة الشورى فى عصر أبى بكر فسوف نرى أنه بمجرد توليه السلطة أصدر قرارين خطيرين دون مشورة المسلمين .

الأول : مصادرة ميراث فاطمة بنت الرسول (ص) ..

والثانى : مقاتلة مانعى الزكاة والرافضين لحكمه ..

القرار الأول اصطدم فيه بفاطمة وعلى وبنى هاشم واستند فيه على رواية منسوبة للرسول تقول : «إنا لا نورث وماتركناه صدقة» [2]

ورغم مخالفة هذه الرواية لصريح القرآن وعدم تحقق الإجماع عليها من قبل المسلمين فقد تم تنفيذ هذا القرار .. [3]

أما القرار الثانى اصطدم فيه بعمر ساعده الأيمن وغيره من الصحابة بسبب عدم وجود مبرر شرعى يبيح مقاتلة أمثال هؤلاء .. [4]

وجاء عمر إلى السلطة بوصية من أبى بكر دون مشورة المسلمين فكانت هذه أول وصية لولاية العهد فى الإسلام .. [5]

---

١ - انظر تفاصيل الصدامات بين عمر وأنصار سعد بن عبادة وتعارك ولده معه بسبب سب أبيه وإمساك عمر من لحيته، وصدامات أخرى ، كتب التاريخ مثل الطبرى وابن الأثير ومروج الذهب ونهاية الأدوب وانظر لنا كتاب السيف والسياسة .

٢ - الحديث رواه البخارى ومسلم وكتب السنن . انظر تفاصيل الصدام بين فاطمة وأبى بكر ، البداية والنهاية لابن كثير ، وكتب التاريخ ، وشروح كتب السنة . وانظر لنا السيف والسياسة .

٣ - تصطدم هذه الرواية بقوله تعالى (وورث سليمان داود) سورة النمل .

وقوله تعالى (يرثنى ويرث من آل يعقوب) سورة مريم .

وكان الرسول (ص) ترك إقطاعية (فدك) من خمس خيبر وهى التى صادرها أبو بكر . انظر كتاب فدك فى التاريخ لمحمد باقر الصدر - ط بيروت . وانظر كتب التاريخ ..

٤ - قال عمر لابى بكر كيف تقاتل من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله . وقال أبو بكر : والله لا أقاتلن من فرق=

وفى عهد عمر تم إصدار الكثير من القرارات المخالفة لنصوص قرآنية صريحة ودون مشورة المسلمين وتم إلزام الأمة بها بقوة السلطان .. (٦)

ثم حين قتل أوصى لستة من بعده ليختاروا من بينهم من يخلفه وهؤلاء الستة كانوا متنافرين وفيهم أصحاب مصالح وجميعهم من المهاجرين كان من بينهم الإمام على .. وأسفر الصراع بين هذه المجموعة الصغيرة عن اختيار عثمان بن عفان الذى كان أول من أرسى دعائم حكم العائلة فى الإسلام . وضرب بعرض الحائط فكرة الشورى وسار برأيه حتى أدى الأمر به فى النهاية إلى السقوط قتيلاً على يد الثوار .. (٧)

وبعد مصرع عثمان اتجهت جماهير المدينة ومعها قطاعات أخرى من مختلف الأمصار كانت قد شاركت فى الثورة على عثمان - اتجهت نحو الإمام على تطالبه بتسلم زمام الحكم وقيادة الأمة وكان هذا أول انتخاب حر فى تاريخ الإسلام .. (٨)

وسار الإمام على على نهج الرسول (ص) فى تطبيق الشورى إلا أن المؤمرات قد أحاطت به من قبل عائشة وحلفائها ومعاوية وحلفائه ثم الخوارج حتى أدى به الأمر إلى الهجرة إلى الكوفة واتخاذها عاصمة له بعد أن أصبحت المدينة مركزاً للقلاقل والفتن وبعد أن تدنت شعبيته فيها .. (٩)

وجاد معاوية بعد الإمام على فأقام أول حكومة ملكية فى تاريخ الإسلام وسار على سنته من بعده جميع حكام المسلمين من عباسيين وسلاجقة وأيوبيين وعثمانيين وغيرهم ..

ومن خلال ممارسات الخلفاء الثلاثة : أبى بكر وعمر وعثمان ثم معاوية وخلفاء بنى العباس تحددت فكرة خاصة للشورىٰ أصبحت هى الرؤية السائدة فى التصور الإسلامى المعاصر وهى رؤية فى مضمونها تخدم الحاكم لا تخدم الجماهير ..

وتركز مضمون هذه الرؤية فيما يلى :

* أن الإمامة فى قريش سيراً مع نص منسوب للرسول (ص) واحتج به المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة . وفكرة حصر الإمامة فى قريش فكرة قبلية تتناقص مع الشورى فضلاً عن كونها تتناقص مع جوهر الدين .

* طريق وجوب الإمامة السمع لا العقل . أى الرواية لا الاختيار . ومعنى هذا أن قضية الحكم

= بين الصلاة والزكاة .انظر كتب التاريخ ، وقصة مصرع مالك بن نويره على يد خالد بن الوليد فى حروب الردة وهو على الإسلام ودخوله بامرأته فى فترة العدة .

٥ - انظر نص الوصية فى كتب التاريخ مثل الطبرى وابن كثير وانظر لنا كتاب السيف والسياسة ..

٦ - من هذه المخالفات قراره بتحريم زواج المتعة ومنعه تقسيم أراضى فارس على الفاتحين ومنعه الصحابة رواية الحديث عن الرسول ووضع كبار الصحابة تحت الإقامة الجبرية فى المدينة ومنعه نصيب المؤلفة قلوبهم من الزكاة وغير ذلك انظر تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ، وتاريخ الخلفاء للسيوطى ، والنص والاجتهاد - ط بيروت ، وانظر كتب التاريخ . وانظر لنا السيف والسياسة . وكتاب زواج المتعة حلال .

٧ - انظر تفاصيل الثورة على عثمان فى كتب التاريخ . والستة الذين اختارهم عمر هم الزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وسعد بن أبى وقاص وطلحة بن عبيد الله ثم على بن أبى طالب . ومن المعروف أن الخمسة كانوا ضد الإمام على . انظر كتب التاريخ وانظر لنا كتاب السيف والسياسة ..

٨ - انظر كتب التاريخ .. وانظر لنا السيف والسياسة .

٩ - انظر المراجع السابقة ..

تأخذ طابعاً مقدساً يقترب بها من فكرة الحكم الإلهي . وبالطبع مثل هذا النموذج من الحكم يصدم بالشورى .

* الإمامة فرض على الكفاية مخاطب بها طائفتان من الناس :
- أهل الاجتهاد وأصحاب سلطة الاختيار .
- من تتوافر فيه شرائط الإمامة وهي القرشية والحرية والبلوغ .
* إجازة تولي الغالب للسلطة ولو لم تتوفر فيه شروط الإمامة ..
* اعتبار الشورى مندوبة وليست واجبة في حق الحاكم .
* إجازة تولي الصبي والفاسق والظالم بطريق الوراثة .. (١٠)

ونخلص مما سبق إلى أن أهل السنة يرفضون فكرة شمولية الشورى ويحصرونها في دائرة من اسموهم بأهل الحل والعقد .. (١١)

موقف التيارات الإسلامية المعاصرة :

ونظراً لكون التيارات الإسلامية المعاصرة تعيش بعقل الماضي وتلتزم نهج السلف وتتبنى الرؤية التراثية لنموذج الحكم الإسلامي ، فمن ثم هي قد تبنت تلك النظرة المعادية لشمولية الشورى والتي ورثتها عن فقها الماضي .. (١٢)

وتبدو في الكتابات التي تعكس أفكار هذه التيارات نظرة معادية لجميع النظم العصرية التي تتصل بقضية الشورى والحكم مثل الديمقراطية والاشتراكية حتى وصل الأمر بأغلب التيارات إلى تكفير الذين يمارسون العمل السياسي من الإسلاميين والذين يرشحون أنفسهم في الانتخابات البرلمانية والذين ينادون بالديمقراطية باعتبار أن فكرة الديمقراطية والأحزاب والمجالس النيابية أفكار وافدة من الغرب الكافر وليس هناك ما يعضدها من نصوص التراث .. (١٣)

ويعد نموذج الحكم الإسلامي والذي تسعى هذه التيارات إلى تحقيقه وهو نموذج الخلافة الراشدة هو النموذج المثالي من هنا فقد عاشت هذه التيارات في عزلة عن الواقع مكتفية باعتقاد أن الحق في صفها ومعها وهو سوف يسود يوماً ويدمر كل صور الباطل المتمثلة في التيارات الأخرى التي لا تتبنى تصوراتهم وأفكارهم وتعتقد معتقداتهم ..

ويبدو من ممارسات هذه التيارات على ساحة الواقع وسلوكيات عناصره أنها تحمل نظرة شديدة العداء لخصومها من التيارات الأخرى . فهي تبشر بنموذج حكم لا مجال فيه للشورى أو الرأي الآخر .. (١٤)

وننقل هنا نصاً لأحدهم يقول : أن إنابة أهل الشورى من قبل الشعب بإجراء انتخابات عامة رأي

---

١٠ - انظر الأحكام السلطانية لأبي يعلى والماوردي وكتب الفقه وأهل السنة يرون على لسان الرسول ص أنه قال (أطع الأمير وإن جلد ظهرك وأخذ مالك) رواه مسلم . كتاب الإمارة ..

١١ - فكرة أهل الحل والعقد مشتقة من صنيع عمر باختيار ستة للمشورة حين قتل .

١٢ - انظر لنا كتاب الحركة الإسلامية في مصر . وكتابات جماعة الإخوان المسلمين .

١٣ - انظر لنا الحركة الإسلامية وهناك عدة منشورات صادرة عن التيارات الإسلامية تعادي الديمقراطية وممارسة العمل السياسي وترفض العمل البرلماني بل وتكفير من ينادي بذلك ويمارسه . انظر كتاب الأحزاب السياسية في الإسلام

جديد لم يعرف فى غابر الزمان . ولا سيما فى عهد الخلفاء الراشدين . فإنهم لم يكونوا يستفتون فى ذلك الشعب. بل ولا أهل المدينة . وإنما كانوا يتخذون للشورى من يعرفون فيه الخبرة والكفاية والعلم وحصافة العقل وإصابة الرأى . حتى ولو خالف ذلك آخرون من أهل الشورى أنفسهم فضلاً عن الشعب .. [١٥]

*** رؤية الشيعة للشورى**

عندما نتحدث عن الشيعة فيجب أن نعلم أن هناك فرق بين أصول المذهب الشيعى وبين الممارسات التطبيقية للدول الشيعية التى قامت فى التاريخ الإسلامى وآخرها الجمهورية الإسلامية فى إيران ..

بهذه الدول فى منظور الشيعة دول سياسية ولا تعبر بالضرورة عن عقيدة وأصول التشيع باستثناء دولة الإمام على لأن الذى يقف على رأسها إمام تتوافر به مواصفات الحكم وحفظ الدين وتطبيقه التطبيق الصحيح .. [١٦]

والمعتقد الشيعى ينص على أن الإمام هو الشخص الوحيد الذى يحق له شرعاً الجمع بين السلطة الزمنية والسلطة الدينية .

ومن المعروف تاريخياً أنه لم يقدر لإمام من أئمة الشيعة الاثنى عشر تملك هاتين السلطتين بعد الإمام على .. [١٧]

وعلى هذا الأساس فإن الشيعة ينظرون إلى الحكام على مر الزمان نظرة شك وعداء ويعيشون كطائفة وكمؤسسة دينية فى عزلة عنه .

ولكون الشيعة منذ زمن يعيشون عصر الغيبة فى انتظار الإمام المهدى فمن ثم هم لا يرون القيام بأى نشاط سياسى أو وضع خطة للحكم كما هو حال التيارات الإسلامية الأخرى . ومثل هذا الموقف السلبى إنما نبع من عصور الاضطهاد الطويلة التى مرت بهم والتى دفعتهم إلى التزام السرية أو ما يسمى بالتقية فى مواجهة الواقع حفاظاً على دعوتهم وعلى أنفسهم ..

وعقيدة الإمامة بالإضافة إلى عقيدة الانتظار ولدت تصوراً تجاه الواقع والحكم لدى الشيعة يقترب بهم إلى التصور العلمانى .حيث إنه فى حالة غيبة الإمام يمكن التعايش مع أى نظام للحكم بل المشاركة فيه إن أمكن وممارسة العمل السياسى إن أمكن أيضاً والاستفادة من العصر والتفاعل معه . عكس الصورة التى تبنتها التيارات الإسلامية الأخرى التى تعادى الواقع وتعيش فى عزلة عنه وترفض الاعتراف بالتيارات السياسية والعلمانية والحوار معها ..

---

١٤ - انظر لنا الحركة الإسلامية

١٥ - الأحزاب السياسية فى الإسلام من منشورات الجامعة السلفية الهند - ط القاهرة .

١٦ - من هذه الدول الدولة البويهية والصفوية وحتى الجمهورية الإسلامية المعاصرة .

١٧ - الأئمة الاثنى عشر للشيعة أولهم الإمام على ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين زين العابدين ثم محمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم على الرضا ثم محمد بن على الجواد ثم على بن محمد الهادى ثم الحسن بن على العسكرى ثم المهدى المنتظر .. وهم قد بشر بهم الرسول فى أحاديث صحيحة لدى الطرفين غير أن الطرف السنى يعتبرهم اثنا عشر حاكماً منهم معاوية ويزيد وولده وسائر بنى أمية - انظر مقدمة تاريخ الخلفاء للسيوطى ، وشرح العقيدة الطحاوية ، وشرح البخارى لابن حجر العسقلانى باب الأحكام حـ ٩ .

ولأن الشيعة تقوم عقيدتها على النص القرآني وما دون ذلك يقاس عليه فمن ثم هي تقف من قضية الشورى موقفاً مرناً وإيجابياً يرفض جمع الأفكار الموروثة عن عصر الخلفاء وفقهاء السلاطين وتزمن بشمولية الشورى سيراً مع نصوص القرآن ومع إيمانها بالعقل كمصدر من مصادر الفهم والتلقي .

*** رؤية الإمام علي :**

يعتبر الإمام علي وصي الرسول وحامل علم الكتاب والأمين على تطبيقه كما أنزل وكما طبقه الرسول في معتقد الشيعة الإمامية . فمن ثم فسوف نلقي الضوء هنا على موقفه من قضية الشورى وبعض النصوص المأثورة عنه حولها والتي يعتمدها الشيعة كمصدر ومرجع لهم ..

وتعد فترة حكم الإمام على القصيرة نموذجاً للتطبيق العملي للشورى والحوار وتشهد بذلك الكثير من نصوص نهج البلاغة وما سوف نعرضه هنا .. [١٨]

ولقد كان الإمام علي المستشار المنقذ لكل من أبي بكر وعمر اللذان كانا يستشيرانه في معظم القضايا التي تتعلق بالتطبيق الإسلامي .

ويعد عهد الإمام للاشترحين حين وجهه لحكم مصر من أهم الوثائق التاريخية التي تكشف لنا رؤية الإمام علي لقضية الشورى والحكم في الإسلام بل هي الوثيقة الوحيدة التي تعكس لنا النموذج الشرعي الحقيقي لنظام الحكم في الإسلام .. [١٩]

ينص العهد : «لا تدلن في مشورتك بخيلاً يعدل بك عن الفضل ويعدك الفقر .ولا جباناً يضعفك عن الأمور .ولا حريصاً يزين لك الشره بالجور فإن الجبن والحرص غرائز شتى يجمعها سوء الظن بالله .. إن شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيراً . ومن شركهم في الآثام . فلا يكونن لك بطانة فإنهم أعوان الآثمة وإخوان الظلمة .. ولا يكونن المحسن والمسيء عندك بمنزلة سواء . ولا تنقضن سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة ، واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ، وأكثر مدارسة العلماء ، ومناقشة الحكماء في تثبيت ما صلح أمر بلادك وإقامة ما استقام الناس قبلك .. واعلم أن الرعية طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض ولا غنى ببعضها عن بعض . ثم ألصق بذوي المروءات وأهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم أهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فإنهم جماع من الكرم وشعب من العرف .. ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد الوالدان من ولدهما . ولا يتفاقمن في نفسك شيء قويتهم به . ولا تحقرن لطفاً تعاهدتم به وإن قل . فإنه داعية لهم إلى بذل النصيحة لك وحسن الظن بك ولا تدع تفقد لطف أمورهم اتكالاً على جسيمها فإن لليسير من لطفك موضعاً ينتفعون به وللجسيم موقعاً لا يستغنون عنه فلا تطولن احتجابك عن رعيتك فإن احتجاب الولاة عن الرعية شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه .. وإنما الوالي بشر لا يعرف ما توارى به الناس من الأمور وإن ظنت الرعية بك حيفاً فأصحر لهم بعذرك

١٨ - انظر نهج البلاغة شرح محمد عبده - ط القاهرة وبيروت وهو يحوي خطب الإمام علي ومقالاته في شتى الأحداث التي عاصرها وواجهته .

١٩ - انظر نص العهد في نهج البلاغة . وانظر كتاب عهد الاشتر . وعلي ونظام الحكم - ط بيروت .

واعدل عنك ظنونهم بإصحارك فإن في ذلك رياضة منك لنفسك ورفقاً برعيتك واعذاراً تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .. [٢٠]

وقال علي : من استقبل وجوه الآراء عرف موقع الخطأ ..

وقال : الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه ..

وقال : من استبد برأيه هلك . ومن شاور الرجال شاركها في عقولها ..

وقال لا ظهير كالمشاورة .

وقال : من أعجب برأيه ضل . ومن استغنى بعقله زل ..

وقال : لا رأي لمن انفرد برأيه .

وقال : من شاور ذوي العقول استضاء بأنوار العقول ..

وقال : المستشير متحصن من السقط .

وقال : جماع الخير في المشاورة والأخذ بقول النصيح .

وقال : المشورة تجلب لك صواب غيرك .

وقال : استشر عدوك العاقل واحذر صديقك الجاهل .

وقال : من لزم المشاورة لم يعدم عند الصواب مادحاً وعن الخطأ عاذراً ..

وقال : شاور قبل تقدم ..

وقال في وصيته لولده محمد بن الحنفية : أضمم آراء الرجال بعضها إلى بعض ثم اختر أقربها من الصواب وأبعدها من الارتياب .. خاطر بنفسه من استغنى برأيه . ومن استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ ..

ويروى عن الرسول (ص) : إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاؤكم وأمركم شورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها . وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاؤكم ولم يكن أمركم شورى بينكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها .. [٢١]

* **التطبيق الحالي :**

ويبدو بوضوح أن نموذج الجمهورية الإسلامية في إيران اليوم لا يعادي الشورى بل يطبقها ويلتزم بها وفق رؤية عصرية . ويظهر من تبني تسمية الجمهورية ومن تبني فكرة الانتخاب البرلماني والرئاسي .

ومثل هذا التطبيق العصري إنما يعكس لنا رؤية الشيعة تجاه قضية الشورى تلك الرؤية المرنة الانفتاحية ..

ومنذ قيام الثورة الإسلامية في إيران وحتى اليوم توالى على الحكم عدة رؤساء للجمهورية عن طريق الانتخاب ..

ويمثل البرلمان الإيراني المعاصر جميع قطاعات الشعب من فرس وكرد وتركمان وعرب وبلوش

---

٢٠ - نهج البلاغة وانظر علي ونظام الحكم في الإسلام لباقر الناصري - ط بيروت .

٢١ - انظر نهج البلاغة وكتب الحديث عند الشيعة مثل الكافي . وكتاب الشورى في الإسلام - ط بيروت .

وغيرهم ..

ومثل هذا النموذج للحكم إنما هو نموذج عصرى واقعى يدل على مرونة الشيعة وتفاعلهم مع الواقع وهو نموذج مرفوض عند التيارات الإسلامية السنية التى تلتزم بفقه الماضى وتتبنى نموذجاً للشورى والحكم لا صلة له بالعصر والمتغيرات ..

ولا يبدو فى التطبيق الإسلامى فى إيران ما ينفر حيث أن هذا التطبيق يقوم على فقه الواقع لا فقه الماضى ..

ويظهر هذا بقليل من المقارنة بين نظام الحكم السعودى وتطبيقه وبين نظام الحكم الإيرانى وتطبيقه..

النظام السعودى ضد الشورى .

والنظام الإيرانى يؤمن بها ويطبقها ..

النظام السعودى يطبق الشريعة على هواه وما يخدم مصالحه ..

والنظام الإيرانى يطبقها بروح العصر ..

النظام السعودى يتبنى الملكية ..

والنظام الإيرانى يتبنى الجمهورية ..

إن الفرق بين النظام الإيرانى والنظام السعودى هو الفرق بين السنة وبين الشيعة ..

بين الشورى وبين الاستبداد ..

بين فقه الماضى وفقه الحاضر ..



ملحق (٣)

حادثة رأى عام ٧٥٥ هـ

قال شيخ الإسلام مجتهد عصره التقى السبكى [١] رحمه الله ورضى عنه : كنت بالجامع الأموى ظهر يوم الأثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأحضر إلى شخص شق الصفوف فى الجامع وهم يصلون الظهر ، ولم يصل وهو يقول : لعن الله من أظلم آل محمد ، وهو يكرر ذلك ، فسألته من هو ؟ فقال أبو بكر ، قلت أبو بكر الصديق . قال أبو بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية ، فأمرت بسجنه وجعل غل فى عنقه ، ثم أخذه القاضى المالكى فضربه وهو مصر على ذلك وزاد فقال : إن فلاناً عدو الله شهد عليه عندى بذلك شاهدان ، وقال : إنه مات على غير الحق ، وإنه ظلم فاطمة ميراثها وأنه - يعنى أبا بكر - كذب على النبى (ص) فى منعه ميراثها ، وكرر عليه المالكى الضرب يوم الأثنين ويوم الأربعاء الذى يليه ، وهو مصر على ذلك ، ثم أحضروه يوم الخميس بدار العدل وشهد عليه فى وجهه فلم ينكر ولم يقر ، ولكن صار كلما سئل يقول : إن كنت قلت فقد علم الله تعالى ، فكرر السؤال عليه مرات ، وهو يقول هذا الجواب ، ثم أعذر عليه ، فلم يبد دافعاً ثم قيل له : تب ، فقال : تبت عن ذنوبى وكرر عليه الاستتابة وهو لا يزيد فى الجواب على ذلك ، فطال البحث فى المجلس على كفره ، وعدم قبول توبته ، فحكم نائب القاضى بقتله فقتل ، وسهل عندى قتله ما ذكرته من هذا الاستدلال ، فهو الذى انشرح صدره لتكفيره بسببه ولقتله لعدم توبته ، وهو منزع لم أجد غيرى سبقنى إليه إلا ما سيأتى فى كلام النووى وضعفه ، وأطال السبكى الكلام فى ذلك . وها أنا أذكر حاصل ما قاله مع الزيادة عليه مما يتعلق بهذه المسألة وتوابعها منها على ما أزيده بأى ونحوها فأقول : أدعى بعض الناس أن هذا الرجل الرافضى قتل بغير حق وشنع السبكى فى الرد على مدعى ذلك بحسب ما ظهر له ، ورآه مذهباً وإلا فمذهبنا كما ستعلمه أنه لا يكفر بذلك فقال : كذب من قال إنه قتل بغير حق بل قتل بحق ، لأنه كافر مصر على كفره ، وإنما قلنا إنه كافر لأمور :

أحدها : قوله (ص) فى الحديث الصحيح : «من رمى رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إن كان كما قال وإلا رجعت عليه » ، ونحن نتحقق أن أبا بكر مؤمن وليس عدو الله ، ويرجع على هذا القائل ما قاله بمقتضى نص هذا الحديث للحكم بكفره ، وقد حمل مالك رضى الله عنه هذا الحديث على الخوارج ، والذين كفروا أعلام الأمة ، فما استنبطته من هذا الحديث موافق لما نص عليه مالك ، أى ، فهو موافق لقواعد مالك لا لقواعد الشافعى رضى الله عنهما على أنه سيعلم مما سيأتى

---

(١) السبكى هو على بن عبد الكافى بن تمام السبكى الأنصارى الخزرجى أبو الحسن شيخ الإسلام فى عصره وأحد الحفاظ والمناظرين والمفسرين وهو والد التاج السبكى صاحب الطبقات ولد سنة (٦٨٣ هـ) وتوفى سنة (٧٥٦ هـ) وله الكثير من المصنفات ..

عن المالكية المعتمد عندهم في ذلك . وهذا الحديث وإن كان خبر واحد إلا أن خبر الواحديعمل به في الحكم بالتكفير . وإن جحده لا كفر به إذ لا يكفر جاحد الظني بل القطعي ، وقول النووى رحمه الله : إن حمل مالك للحديث على الخوارج ضعيف لأن المذهب الصحيح عدم تكفيرهم ، فيه نظر وإنما يتجه ضعفه إن لم يصدر منهم سبب مكفر غير الخروج والقتال ونحوه ، وأما مع التكفير لمن تحقق إيمانه ، فمن أين للنووى ذلك انتهى . ويجاب بأن نص الشافعي وهو قوله أقبل شهادة أهل البدع والأهواء إلا الخطابية صريح فيما قاله النووى مع أن المعنى يساعده ، وأيضاً فتصريح أئمتنا في الخوارج بأنهم لا يكفرون ، وإن كفرونا لأنه بتأويل ، فله شبهة غير قطعية البطلان صريح فيما قاله النووى ، ويؤيده قول الأصوليين إنما لم تكفر الشيعة والخوارج لكونهم كفروا أعلام الصحابة المستلزم لتكذيبه (ص) في قطعة لهم بالجنة لأن أولئك المكفرين لم يعلموا قطعاً تزكية من كفروه على الإطلاق إلى مماته ، وإنما يتجه لكفرهم أن لو علم ذلك لأنهم حينئذ يكونون مكذبين له (ص) ، وبهذا تعلم أن جميع ما يأتى عن السبكى إنما هو اختيار له مبنى على غير قواعد الشافعية ، وهو قوله جواب الأصوليين المذكور إنما نظروا فيه لعدم الكفر لأنه لا يستلزم تكذيبه (ص) ولم ينظروا لما قلناه إن الحديث السابق دال على كفره ، وقد قال إمام الحرمين وغيره : يكفر نحو الساجد لصنم وإن لم يكذب بقلبه ، ولا يلزم على ذلك كفر من قال لمسلم : يا كافر لأن محل ذلك في المقطوع بإيمانهم كالعشرة المبشرين بالجنة ، وعبدالله بن سلام ونحوهم بخلاف غيرهم ، لأنه (ص) أشار إلى اعتبار الباطن بقوله : إن كان كما قال وإلا رجعت عليه . نعم يلحق عندى وإن لم يذكر ذلك متكلم ولا فقيه بمن ورد النص فيهم من أجمعت الأمة على صلاحه ، وإمامته كابن المسيب والحسن ، وابن سيرين ، ومالك ، والشافعى .

فإن قلت الكفر جحد الربوبية أو الرسالة ، وهذا المقتول مؤمن بالله ورسوله وآله ، وكثير من صحابته . فكيف يكفر . ؟

قلت : التكفير حكم شرعى سببه جحد ذلك ، أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر ، وإن لم يكن جحداً ، وهذا منه ، فهذا أحسن الأدلة في المسألة وينضم إليه الحلية . من آذى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، والخبر الصحيح : لعن المؤمن كقتله ، وأبو بكر أكبر أولياء المؤمنين ، فهذا المأخذ الذى ظهر لى فى قتل هذا الرافضى ، وإن كنت لم أتقلده لا فتوى ولا حكماً وانضم إلى احتجاجي بالحديث السابق ما أشتملت عليه أفعال هذا الرافضى من إظهاره ذلك في الملأ وإصراره وإعلامه البدعة ، وأهلها ، وغمصه السنة وأهلها ، وهذا المجموع في هذه الشناعة ، وقد يحصل بمجموع أمور حكم لا يحصل بكل واحد منها وهذا معنى قول مالك تحدث الناس أحكام بقدر ما يحدث لهم من الفجور . ولسنا نقول تتغير الأحكام بتغير الزمان بل باختلاف الصورة الحادثة . فهذا نهاية ما انشرح صدرى له بقتل هذا الرجل ، وأما السب وحده ، ففيه ما قدمته وما سأذكره وإيذاؤه (ص) أمر عظيم إلا أنه ينبغي ضابط فيه ، وإلا فالمعاصى كلها تؤذيه ، ولم أجد في كلام أحد من العلماء أن سب الصحابى يوجب القتل إلا ما يأتى من إطلاق الكفر من بعض أصحابنا وأصحاب أبى حنيفة ، ولم يصرحوا بالقتل ، وقد قال ابن المنذر لا أعلم أحداً يوجب القتل بمن سب من بعد النبى (ص) انتهى ، نعم حكى القتل عن بعض الكوفيين وغيرهم بل حكاه بعض الحنابلة رواية عن أحمد ، وعندى أنهم غلطوا فيه لأنهم أخذوه من قولهم شتم عثمان زندقة ، وعندى أنه لم يرد أن شتمه كفر ، وإلا لم يكن زندقة لأنه أظهرها ، وإنما أراد قوله المروى عنه في موضع آخر من طعن في خلافة عثمان ، فقد طعن في المهاجرين والأنصار ، يعنى أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه أقام ثلاثة أيام ليلاً ونهاراً يطوف على المهاجرين والأنصار ، ويخلو بكل واحد منهم رجالهم ونسائهم ويستشيرهم ، فيمن يكون خليفة

حتى اجتمعوا على عثمان ، فحينئذ بايعه ، فمعنى كلام أحمد أن شتم عثمان فى الظاهر شتم له ، وفى الباطن تخطئه لجميع المهاجرين والأنصار ، وتخطئه جميعهم كفر ، فكان زندقة بهذا الاعتبار ، فلا يؤخذ منه أن شتم أبى بكر وعمر كفر . هذا لم ينقل عن أحمد أصلا ، فمن خرج من أصحابه رواية عنه مما قاله فى شتم عثمان بقتل ساب أبى بكر مثلاً لم يصنع شيئاً ، والضابط أن كل شتم قصد به أذى النبى (ص) ، كما وقع من عبدالله بن أبى كفر وما لا فلا ، كما وقع من مسطح فى قصة الإفك ، وفى الحديث الصحيح «لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» . وفى حديث رجاله ثقات ، وإن قال الترمذى إنه غريب . «الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه» وقوله : أصحابى . الظاهر أن المراد بهم من أسلم قبل الفتح ، وأنه خطاب لمن أسلم بعده بدليل تفاوت الإنفاق فيه الموافق له قوله تعالى : (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) الآية ، فلابد من تأويل بهذا أو بغيره ليكون المخاطبون غير الأصحاب الموصى بهم فهم كبار الأصحاب وإن شمل اسم الصحبة الجميع ، وسمعت شيخنا التاج بن عطاء الله متكلم الصوفية على طريق الشاذلية يذكر فى وعظه تأويلا آخر هو أنه (ص) له تجليات يرى فيها من بعده ، فهذا خطاب لمن بعده فى حق جميع الصحابة الذين قبل الفتح وبعده . ، فإن ثبت ما قاله ، فالحديث شامل لجميعهم وإلا فهو فيمن قبل الفتح بالنسبة لمن قبله ، وعلي كلا التقديرين ، فالظاهر أن هذه الحرمة ثابتة لكل واحد منهم . أى ، وكلام النووى وغيره صحيح فى ذلك ثم الكلام إنما هو فى سب بعضهم ، أما سب جميعهم ، فلا شك أنه كفر ، وكذا سب واحد منهم من حيث هو صحابى لأنه استخفاف بالصحبة فيكون استخفافاً به (ص) .

وعلى هذا ينبغى أن يحمل قول الطحاوى : بغضهم كفر ، فبغض الصحابة كلهم ، وبغض بعضهم من حيث الصحبة لا شك أنه كفر ، وأما سب أو بغض بعضهم لأمر آخر ، فليس بكفر حتى الشيخين رضى الله عنهما . نعم حكى القاضى فى كفر سابهما وجهين : وجه عدم الكفر أن سب المعين أو بغضه قد يكون لأمر خاص به من الأمور الدنيوية أو غيرها . كبغض الرافضى لهما فإنه إنما هو جهة الرفض وتقديم علياً واعتقاده بجهله أنهما ظلماه وهما مبرآن عن ذلك ، فهو معتقد لجهله أن ينتصر لعلى لقرابته رضى الله عنه النبى (ص) فعلم أن بغض الرافضى للشيخين إنما هو لما استقر فى ذهنه لجهله ، وما نشأ عليه من الفساد من اعتقاد ظلمهما لعلى وليس كذلك ، ولا على يعتقد ذلك قطعاً ،

ومأخذ تكفير الرافضى بذلك أنه يعود من اعتقاده ذلك فيهما نقص على الدين لأنهما الأصل بعد النبى (ص) فى إقامة الدين وإظهاره ، ومجاهدة المرتدين والمعاندين ، ومن ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه : لولا أبو بكر ما عبد الله بعد محمد (ص) . أى لأنه الذى رأى قتال المرتدين مع مخالفة أكثر الصحابة له حتى أقام عليهم الأدلة الواضحة على قتال المرتدين ، ومانعي الزكاة إلى أن رجعوا إليه ، وقاتلوهم بأمر ، فكشف الله به وبهم تلك الغمة وأزال عن الإسلام والمسلمين تلك المحنة .

ثانيها : أعنى الأمور الدالة على قتل ذلك الرافضى أنه استحل لعن الشيخين وعثمان رضى الله عنهم بإقراره بذلك ، ومن استحل ما حرم الله فقد كفر ، ولعن الصديق وسبه محرمان ، واللعنة أشد ، وتحريم لعن الصديق معلوم من الدين بالضرورة ، لما تواتر عنه من حسن إسلامه وأفعاله الدالة على إيمانه ، وأنه دام على ذلك إلى أن قبضه الله تعالى ، هذا لا شك فيه ولا يرتاب وإن شك فيه الرافضى ، نعم شرط الكفر بجحد الضرورى أن يكون ضروريات عند الجاحد حتى يستلزم جحده حينئذ تكذيبه (ص) ، وليس الرافضى يعتقد تحريم لعن أبى بكر فضلاً عن كونه يعتقد أن تحريمه

ضرورى ، وقد ينفصل عنه بأن تواتر تحريم ذلك عند جميع الخلق يلغى شبهة الرافضى التى غلظت على قلبه ، حتى لم يعلم ذلك ، وهذا محل نظر وجدل ، وميل القلب إلى بطلان هذا القدر ، أى باعتبار ما ظهر للسبكى ، وإلا فقواعد المذهب قاضية بقبول هذا القدر بالنسبة لعدم التكفير ، لأنه إنما يسب أو يلعن متأولا ، وإن كان تأويله جهلا وعصبية وحمية . لكن باب الكفر يحتاط فيه ، كما هو مقرر في محله .

ثالثها : إن هذه الهيئة الاجتماعية التى حصلت من هذا الرافضى ومجاهرته ولعنه لأبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم واستحلاله ذلك على رؤوس الأشهاد وهم أئمة الإسلام والذين أقاموا الدين بعد النبى (ص) وما علم لهم من المناقب والمآثر كالطعن في الدين والطعن فيه كفر ، فهذه ثلاثة أدلة ظهرت فى قلبى ، أى باعتبار ما ظهر ، وإلا فمذهب الشافعى رضى الله عنه ما قد علمت.

رابعها : المنقول عن العلماء . فمذهب أبى حنيفة رضى الله عنه أن من أنكر خلافة الصديق وعمر ، فهو كافر على خلاف حكاه بعضهم ، وقال الصحيح أنه كافر ، والمسألة مذكورة فى كتبهم ، فى الغاية للسروجى والفتاوى الظهيرية ، والأصل لمحمد بن الحسن ، وفى الفتاوى البديعية ، فإنه قسم الرافضة إلى كفار وغيرهم ، وذكر الخلاف في بعض طوائفهم ، وفيمن أنكر إمامة أبى بكر ، وزعم أن الصحيح أنه يكفر ، وفى المحيط أن محمداً لا يجوز الصلاة خلف الرافضة ، ثم قال : لأنهم أنكروا خلافة أبى بكر ، وقد أجتمعت الصحابة على خلافته ، وفى الخلاصة من كتبهم ، وأن من أنكر خلافة الصديق ، فهو كافر ، وفي تتمة الفتاوى ، والرافضى المتغالى الذى ينكر خلافة أبى بكر يعنى لا تجوز الصلاة خلفه ، وفى المرغينانى : وتكره الصلاة خلف صاحب هوى أو بدعة ، ولا تجوز خلف الرافضى ثم قال : وحاصله إن كان هوى يكفر به لا يجوز وإلا يجوز ويكره ، وفى شرح المختار ، وسب أحد من الصحابة وبغضه لا يكون كفراً لكن يضلل ، فإن علياً رضى الله عنه لم يكفر شاتمه ، وفى الفتاوى البديعة : من أنكر إمامة أبى بكر رضى الله عنه ، فهو كافر ، وقال بعضهم هو مبتدع ، والصحيح أنه كافر ، وكذلك من أنكر خلافة عمر فى أصح الأقوال ، ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك ، وأما أصحابنا الشافعيون ، فقد قال القاضى حسين فى تعليقه من سب النبى (ص) يكفر بذلك ومن سب صحابياً فسق ، وأما من سب الشيخين أو الختنين ففيه وجهان : أحدهما يكفر لأن الأمة أجمعت على إمامتهم ، والثانى يفسق ، ولا يكفر . ولا خلاف أن من لا يحكم بكفره من أهل الأهواء لا يقطع بتخليده فى النار . وهل يقطع بدخولهم النار وجهان انتهى . وقال القاضى إسماعيل المالكى : إنما قال مالك فى القدرية وسائر أهل البدع يستتابون فإن تابوا ، وإلا قتلوا لأنه من الفساد فى الأرض ، كما قال فى المحارب وهو فساده فى مصالح الدنيا ، وقد يدخل فى الدين من قطع سبيل الحج والجهاد وفساد أهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل فى الدنيا بما يلقونه بين المسلمين من العداوة ، وقد اختلف قول مالك ، والأشعرى فى التكفير والأكثر على ترك التكفير . قال القاضى عياض : لأن الكفر خصلة واحدة وهو الجهل بوجود البارى تعالى ، ووصف الرافضة بالشرك وإطلاق اللعنة عليهم . وكذا الخوارج وسائر أهل الأهواء حجج للمكفرين ، وقد يجيب الآخرون بأنه قد ورد مثل هذه الألفاظ فى غير الكفر تغليظاً . وكفر دون كفر ، وإشراك دون إشراك ، وقوله فى الخوارج : اقتلوهم قتل عاد يقتضى الكفر ، والمانع يقول هو حد لا كفر ، قال القاضى عياض : فى سب الصحابة قد اختلف العلماء فيه ، ومشهور مذهب مالك فيه الاجتهاد والأدب الموجع ، قال مالك رحمه الله : من شتم النبى (ص) قتل ، وإن شتم الصحابة أدب وقال أيضاً : من شتم أحداً من

أصحاب النبي (ص) أبا بكر أو عمر أو معاوية أو عمرو بن العاص فإن قال : كانوا على ضلال أو كفر قتل ، وإن شتمهم بغير هذا من مشاقة الناس نكل نكالاً شديداً انتهى . وقوله : يقتل من نسبهم إلى ضلال أو كفر حسن إذا نسبهم إلى الكفر لأنه (ص)شهد لكل فهم بالجنة فإن نسبهم إلى الظلم دون الكفر ، كما يزعم بعض الرافضة ، فهو محل التردد لأنه ليس من حيث الصحبة ولا الأمر يتعلق بالدين ، وإنما هو لخصوصيات تتعلق بأعيان بعض الصحابة ، ويرون أن ذلك من الدين لا تنقيص فيه ، ولا شك أن الروافض ينكرون ما علم بالضرورة ، ويفترون على الصحابة بما نعلم من الضرورة براءتهم منه ، لكنه لا يقتضي تكذيبهم للنبي (ص) بل يزعمون أنه موافق له (ص) ، ونحن نكذبهم في ذلك ، فلم يتحقق إلى الآن من مالك ما يقتضي قتل من هذا شأنه ، وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة إلى بغض عثمان ، والبراءة منه أدب أدباً شديداً ، ومن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر، فالعقوبة عليه أشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ، ولا يبلغ به القتل إلا في سب النبي (ص)، قال سحنون : من كذب أحداً من أصحاب النبي (ص) علياً أو عثمان أو غيرهما يوجع ضرباً . وحكى ابن أبي زيد ، عن سحنون : من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي إنهم كانوا على ضلال وكفر وقتل ، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد انتهى ، وقتل من كفر الأربعة ظاهر لأنه خلاف إجماع الأمة إلا الغلاة من الروافض ، فلو كفر الثلاثة ولم يكفر علياً لم يصرح سحنون فيه بشئ ، وكلام مالك المتقدم أصرح فيه ، وروى عن مالك رضي الله عنه : من سب أبا بكر جلد ، ومن سب عائشة قتل ، وقال أحمد بن حنبل : فيمن سب الصحابة أما القتل فأجبن عنه لكن أضربه ضرباً نكالا ، وقال أبو يعلى الحنبلي الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان مستحلا لذلك كفر . وإن لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر قال ، وقد قطع طائفة من الفقهاء من أهل الكوفة ، وغيرهم بقتل من سب الصحابة وكفر الرافضة ، وقال محمد بن يوسف الفريابي وسئل عمن شتم أبا بكر قال : كافر ، قيل يصلى عليه ؟ قال : لا ، وممن كفر الرافضة أحمد بن يونس ، وأبو بكر بن هانئ ، وقالا : لا تؤكل ذبائحهم لأنهم مرتدون ، وقال عبدالله بن إدريس أحد أئمة الكوفة : ليس للرافضي شفعة ، لأنه لا شفعة إلا لمسلم ، وقال أحمد في رواية أبي طالب شتم عثمان زندقة ، وأجمع القائلون بعدم تكفير من سب الصحابة على أنهم فساق ، وممن قال بوجوب القتل على من سب أبا بكر وعمر عبد الرحمن بن أبزى الصحابي رضي الله عنه ، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه لسان عبد الله بن عمر إذ شتم مقداد بن الأسود رضي الله عنه ، فكلم في ذلك ، فقال دعوني أقطع لسانه حتى لا يشتم أحداً من أصحاب النبي (ص) . وفي كتاب ابن شعبان : من قال في واحد منهم إنه ابن زانية وأمه مسلمة حد عنه بعض أصحابنا حدين : حداً له واحداً لأمه ، ولا أجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره . لقوله (ص) : «من سب أصحابي فاجلدوه قال ومن قذف أم أحدهم وهي كافرة حد حد الفرية لأنه سب له ، وإن كان على الإمام قبول قيامه .

قال : وليس هذا كحقوق غير الصحابة لخيريتهم بنبيهم (ص) ولو سمعه الإمام وأشهد عليه كان ولي القيام به ، ومن سب عائشة رضي الله عنها ، ففيه قولان : أحدهما يقتل ، والآخر كسائر الصحابة يجلد جلد المفتري ، قال ، وبالأول أقول . وروى أبو مصعب ، عن مالك : من سب آل بيت محمد يضرب ضرباً وجيعاً ويشهر ويحبس طويلاً حتى يظهر توبته لأنه استخفاف بحق رسول الله (ص) ، وأفتى ابن مطرفي فيمن أنكر تحليف إمرأة بالليل ، وقال : لو كانت بنت أبي بكر ما حلفت إلا بالنهار بالأدب الشديد لذكر ابنة أبي بكر في مثل هذا ، قال هشام بن عمار : سمعت مالكاً يقول: من سب أبا بكر وعمر قتل ، ومن سب عائشة رضي الله عنها قتل ، لأن الله تعالى يقول

فيها: (يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين) ، فمن رماها ، فقد خالف القرآن ، ومن خالف القرآن قتل ، قال ابن خضر ، وهذا قول صحيح ، واحتج المكفرون للشيعة والخوارج بتكفيرهم أعلام الصحابة رضي الله عنهم ، وتكذيب النبي (ص) في قطعة لهم بالجنة ، وهو احتجاج صحيح ، فيمن ثبت عليه تكفير أولئك . ومر أن أئمة الحنفية كفروا من أنكر خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، والمسألة في (الغاية) وغيرها من كتبهم كما مر ، وفي (الأصل) لمحمد بن الحسن رحمه الله ، والظاهر أنهم أخذوا ذلك عن إمامهم أبي حنيفة رضي الله عنه وهو أعلم بالروافض لأنه كوفي والكوفة منبع الرفض ، والروافض طوائف منهم من يجب تكفيره ، ومنهم من لا يجب تكفيره ، فإذا قال أبو حنيفة بتكفير من ينكر إمامة الصديق رضي الله عنه ، فتكفير لاعنه عنده أولى ، أي إلا أن يفرق . إذا الظاهر أن سبب تكفير منكر إمامته مخالفته للإجماع بناء على أن جاحد الحكم المجمع عليه كافر ، وهو المشهور عند الأصوليين وإمامته رضي الله عنه مجمع عليها من حين بايعه عمر ولا يمنع من ذلك تأخير بيعة بعض الصحابة فإن الذين تأخرت بيعتهم لم يكونوا مخالفين في صحة إمامته ، ولهذا كانوا يأخذون عطاءه ويتحاكمون إليه، فالبيعة شئ ، والإجماع شئ ، ولا يلزم من أحدهما الآخر ، ولا من عدم أحدهما عدم الآخر ، فافهم ذلك ، فإنه قد يغلط فيه .

فإن قلت شرط الكفر بإنكار المجمع عليه أن يعلم من الدين بالضرورة قلت ، وخلافة الصديق كذلك لأن بيعة الصحابة له ثبتت بالتواتر المنتهي إلى حد الضرورة ، فصارت كالمجمع عليه المعلوم بالضرورة ، وهذا لا شك فيه ، ولم يكن أحد الروافض في أيام الصديق رضي الله عنه ولا في أيام عمر وعثمان ، وإنما حدثوا بعده . فمقالتهم حادثة ، وجوابه أن الخلافة من الوقائع الحادثة وليست حكماً شرعياً وجاحد الضروري إنما يكفر إذا كان ذلك الضروري حكماً شرعياً كالصلاة والحج لاستلزامه تكذيب النبي (ص) بخلاف الخلافة المذكورة إلا أن يقال إنه يتعلق بها أحكام شرعية كوجوب الطاعة وما أشبهه ومر عن القاضي حسين أن في كفر ساب الشيخين أو الختنين وجهين ، ولا ينافيه جزمه في موضع آخر بفسق ساب الصحابة ، وكذا ابن الصباغ وغيره وحكوه عن الشافعي رضي الله عنه ، لأنهما مسألتان ، فالثانية في مجرد السب وهو مفسق ، وإن كان المسبوب من آحاد الصحابة وأصاغرهم بخلاف الأول ، فإنها خاصة بسب الشيخين أو الختنين ، وهو أشد وأغلظ في الزجر بأن فيه وجهاً بالكفر ، وأما تكفير أبي بكر ونظرائه ممن شهد لهم النبي (ص) بالجنة فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي ، والذي أراه الكفر فيها قطعاً موافقة لمن مر . ومر عن أحمد أن الطعن في خلافة عثمان طعن في المهاجرين والأنصار ، وصدق في ذلك ، فإن عمر جعل الخلافة شورى بين ستة عثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص فالثلاثة الأخيرون أسقطوا حقوقهم ، وعبد الرحمن لم يردها لنفسه ، وإنما أراد أن يبايع أحد الأولين عثمان أو علياً ، فاحتاط لدينه ، وبقي ثلاثة أيام بلياليها لا ينام وهو يدور على المهاجرين والأنصار ويستشيرهم فيمن يتقدم عثمان أو علي ، ويجتمع بهم جماعات وفرادى ، ورجالاً ونساء ، ويأخذ ما عند كل واحد منهم في ذلك إلى أن اجتمعت آراؤهم كلهم على عثمان رضي الله عنهم ، فبايعه ، فكانت بيعة عثمان عن إجماع قطعي من المهاجرين والأنصار ، فالطعن فيها طعن في الفريقين ، ومن ثم قال أحمد أيضاً شتم عثمان زندقة ، ووجهه أنه بظاهره ليس بكفر وبباطنه كفر لأنه يؤدي إلى تكذيب الفريقين ، كما علمت ، فلا يفهم من كلامه كفر ساب الصحابة خلافاً لبعض أصحابه كما مر . فتلخص أن سب أبي بكر كفر عند الحنفية . وعلى أحد الوجهين عند الشافعية ، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد فليس بكفر ، نعم . قد يخرج عنه ما مر عنه في الخوارج أنه كفر ، فتكون المسألة عنده على حالين إن

اقتصر على السب من غير تكفير لم يكفر وإن كفر ، فهذا الرافضي السابق ذكره كافر عند مالك وأبي حنيفة ، وأحد وجهي الشافعي ، وزنديق عند أحمد بتعرضه إلى عثمان المتضمن لتخطئته المهاجرين والأنصار ، وكفره هذا ردة لأن حكمه قبل ذلك حكم المسلمين والمرتد يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل ، فكان قتله عن مذهب جمهور العلماء أو جميعهم لأن القائل بأن الساب لا يكفر لم يتحقق منه أنه يطرده ، فيمن يكفر أعلام الصحابة رضوان الله عليهم ، فأحد الوجهين عندنا إنما اقتصر على الفسق في مجرد السب دون التكفير وكذلك أحمدإنما جبن عن قتل من لم يصدر منه إلا السب . والذي صدر من هذا الرجل أعظم من السب ، ومر أن الطحاوي قال في عقيدته ، وبغض الصحابة كفر . فيحتمل أن يحمل على مجموع الصحابة وأن يحمل على كل منهم ، لكن إذا أبغضه من حيث الصحبة ، وأما جعل مجرد بغضه كفراً ، فيحتاج لدليل ، وهذا الرافضي وأشباهه بغضهم للشيخين وعثمان رضي الله عنهم ليس لأجل الصحبة لأنهم يحبون علياً والحسنين وغيرهما بل لهوى أنفسهم واعتقادهم بجهلهم وعنادهم وظلمهم لأهل بيت النبي (ص) ، فالظاهر أنهم إذا اقتصروا على السب من غير تكفير ولا جحد مجمع عليه لا يكفرون .

خامسها : يمكن التمسك أيضاً في قتل هذا الرافضي ، بأن هذا المقام الذي قامه لا شك أنه يؤذي النبي (ص) : وإيذاؤه موجب للقتل ، بدليل الحديث الصحيح أنه (ص) قال : فيمن آذاه ، من يكفيني عدوي ، فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه : أنا أكفيكه ، فبعثه إليه النبي (ص) فقتله ، لكن مر مايخدش في ذلك وهو أن كل أذى لا يقتضي القتل ، وإلا يعم سائر المعاصي لأنها تؤذيه (ص) . قال تعالى : (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) الآية ، وهذا الرافضي إنما قصد بزعمه انتصاره لآل بيت النبي (ص) ، فلم يقصد إيذاءه (ص) أي ، فلم يتضح دليل على قتله ، وأما الوقيعة فيها تنقيص له وتنقيصه كفر . وينبني على ذلك حكم الوقيعة في بقية أمهات المؤمنين . فعلى الأول لا يكون كفراً ، وعلى الثاني يكون كفراً ، وهو الأرجح عند بعض المالكية ، وإنما لم يقتل (ص) قذفه عائشة لأن قذفهم كان قبل نزول القرآن ، فلم يتضمن تكذيب القرآن ولأن ذلك حكم نزول بعد نزول الآية ، فلم ينعطف حكمه على ما قبلها .

سادسها : مر في الخبر الصحيح : لا تسبوا أصحابي من أحبهم أحبني ، ومن أبغضهم أبغضني ومن آذاهم آذاني ، وهذا يشمل سائر الصحابة ، لكنهم درجات ، فيتفاوت حكمهم في ذلك بتفاوت درجاتهم ومراتبهم ، والجريمة تزيد بزيادة من تعلقت به ، فلا يقتصر في سب أبي بكر رضي الله عنه على الجلد الذي يقتصر عليه في جلد غيره لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة ، فإذا أنضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الاحترام لنصرة الدين وجماعة المسلمين ، وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي (ص) ، وغير ذلك كان كل واحد من هذه الأمور يقتضي مزيد من حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه ، فتزداد العقوبة . وليس ذلك التجدد حكماً بعد النبي (ص) بل لأنه (ص) شرع أحكاماً وأناطها بأسباب ، فنحن نتبع تلك الأسباب ، ونرتب على كل سبب منها حكمه ، وكان الصديق في حياة النبي (ص) له حق السبق إلى الإسلام والتصديق والقيام في الله تعالى ، والمحبة التامة ، والإنفاق العظيم البالغ أقصى غايات الوسع والامكان على النبي (ص) وأصحابه والنصرة وغير ذلك من خصاله الحميدة المذكورة في هذا الكتاب وغيرها ، ثم بعد النبي (ص) ترتبت له خصوصيات وفضائل أخر كخلافته التي قام بها بما لم يمكن أن يقوم به أحد من الأمة بعده ، كما هو معلوم مقطوع به لا ينكره إلا معاند مكابر جاهل غبي ، وكمقاتلته لأهل الردة ومانعي الزكاة وما ظهر عنه في ذلك من الشجاعة التي لم يسبق أحد فيها غباره ، ولم يدرك آثره [illegible]

يزداد حقه وحرمته ويستحق من أجترأ عليه زيادة العذاب ، والنكال ، فلا يبعد لكونه من الدين ، والفضل بهذا المحل الأسنى والمقام الأسمى أن يكون سابه طاعناً في الدين ، فيستحق القتل على ما مر . ولقد قتل الله بسبب يحيى بن زكريا عليهما الصلاة والسلام خمسة وسبعين ألفاً . قال بعض العلماء وذلك دية كل نبي ، ويقال : إن الله تعالى أوحى إلى نبينا (ص) أني قتلت بيحيى بن زكريا سبعين ألفاً ، لأقتلن بالحسين ابن ابنتك سبعين وسبعين ألفاً » [٢] ، وهكذا الصديق رضى الله عنه يظهر الله تعالى حرمته وحقه بالجزاء كثير من الروافض لعنهم الله الذين أخزاهم الله بقتل هذا الرافضى ، وكانت ترتفع أنوفهم لو صفح عنه ، وقد قال أبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنه التعزير يجوز بالقتل ، وتجرؤ هذا الرافضى على هذا المقام العلى الذى هو مقام الصديق والخلفاء الراشدين من أعلى الأسباب المقتضية للتعزير الذى يجوز به عند أبي يوسف الارتقاء إلى القتل ، أي ، فعلم أن قتل هذا الرافضى حق صحيح لا اعتراض عليه بناء على مذهب أبى حنيفة ، وكذا على وجه عند الشافعية ، وكذا على مر عند الحنابلة . فتدبر هذه الواقعة ، وما سقته لك من كلام العلماء فيها ، فإن فيها أحكاماً مهمة ، وفوائد جمة ، قلما تجدها مجموعة فى كتاب ، مرفوعاً عنها النقاب سالمة من الطعن والريب منزهة عن التعصب والعيب ، وقد ذكرت فى كتابى الملقب بالأعلام فى قواطع الإسلام ما يوضح ما أشرت إليه خلال كلام السبكى مما يفزع ما قاله علي اختياره الموافق لغير قواعد مذهبنا ، فاطلب بيان ذلك من الكتاب المذكور (١) ، فإنه لم يصنف فى بابه مثله ، بل لم أظفر بأحد من أئمتنا ألف كتاباً فى المكفرات وحدها ولا أستوعب حكمها على المذاهب الأربعة مع الكلام على كل من مسائله بما ينشرح له الصدر ، وتقر به العين ، فاستوفيت كل ذلك فى ذلك المؤلف العديم النظير عند من سلم من داء الحسد والسخيمة ، ولم يطول على العناد أديمه ، نفعنى الله به وبغيره وأدام على من جوده وفضله وكرمه وخيره إنه الرؤوف الكريم ، الجواد الرحمن الرحيم ..[٣]



---

(٢) قال ابن حبان فى هذا الحديث لا أصل له . وأخرجه الحاكم وقال صحيح ووافقه الذهبى وقال على شرط مسلم ..

(٣) ناقل هذه الرواية هو ابن حجر الهيتمى وذكرها فى كتابه الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة . توفى سنة ٩٧٤ هـ

ملحق (٤)

نماذج من كتب التراث التى تجرم الرأى وتؤصل التعصب وتستبيح المخالف وترفع أهل السنة فوق الجميع :

- اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم : ابن تيمية ..
- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية : ابن قيم الجوزية ..
- الرد على الجهمية والزنادقة : ابن حنبل ..
- أصول الدين : البغدادى ..
- العقيدة الطحاوية : الطحاوى ..
- العقيدة الواسطية : ابن تيمية ..
- الصواعق المحرقة فى الرد على أهل البدع والزندقة : ابن حجر الهيتمى ..
- أحكام أهل الذمة : ابن قيم الجوزية ..
- الفرق بين الفرق : البغدادى
- العواصم من القواصم : أبو بكر بن العربى ..
- نقد المنطق : ابن تيمية ..
- الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة : البيهقى ..
- الفصل فى الملل والنحل : ابن حزم
- درء تعارض العقل والنقل: ابن تيمية
- مجموع الفتاوى : ابن تيمية
- الاعتصام : للشاطبى
- مفيد المستفيد فى كفر تارك التوحيد : محمد بن عبد الوهاب ..
- أصول أهل السنة والجماعة : الأشعرى ..
- عقيدة أهل السنة : ابن حنبل
- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة : ابن بطة ..
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة : للالكائى ..

ويلاحظ أن معظم هذه الكتب من اصدارات تيار الحنابلة الذى تمثله كتب ابن تيمية وابن قيم وابن عبد الوهاب وابن بطة واللكائى بالإضافة إلى كتب ابن حنبل . وهذه الكتب الحنبلية هى المعتمدة لدى التيارات الإسلامية اليوم ..



المحتويات

للمؤلف

- الشيعة فى مصر : من الإمام على حتى الإمام الخمينى ..
- مذكرات معتقل سياسى ..
- عقائد السنة وعقائد الشيعة : التقارب والتباعد ..
- مصر وإيران : صراع الأمن والسياسة ..
- الخدعة : رحلتى من السنة إلى الشيعة ..
- فقهاء النفط : راية الإسلام أم راية آل سعود ..
- أهل السنة شعب الله المختار ..
- زواج المتعة حلال ..
- الحركة الإسلامية فى مصر ..
- موسوعة آل البيت (فى أجزاء)
- ابن باز فقيه آل سعود ..
- السيف والسياسة : إسلام السنة أم إسلام الشيعة ..
- دفاع عن الرسول ضد الفقهاء والمحدثين ..
- وتحت الطبع :
- مدافع الفقهاء ..
- دفاع عن القرآن ضد أهل السنة ..
- فقه الهزيمة : دراسة فى أصول الفكر السلفى ..
- الميزان الجلى بين أبى بكر وعلى ..
- العقل المسلم بين أغلال السلف وأوهام الخلف ..
- السلفيون والشيعة ..
- الأزهر والحكام ..
- مصارع الحكام فى تاريخ الإسلام ..
- المناظرات : بين فقهاء الشيعة وفقهاء السنة ..
- غلو أهل السنة ..

قائمة إصدارات مركز الحضارة العربية

مخابرات ومخدرات
فى جنازة المقاطعة العربية لإسرائيل
القـــــدس
الماسونية
الحركات الهدامة
الصهيونية السياسية
العنصرية والإرهاب فى الأدب الصهيونى
يهود يحاربون إسرائيل
السلام الفتاك
البديل الإسرائيلى للعروبة
مشروع للانتحار القومى!
غزة أريحا - المأزق والخلاص
غزة أريحا - التسوية المستحيلة
صفقة التسوية الأردنية الإسرائيلية
سلام أم استسلام
أوهام السلام
بروتوكولات حكماء صهيون
التلمود
التناقض فى تواريخ وأحداث التوراة
القوة العسكرية الإسرائيلية
سقوط نجم مخابرات إسرائيل عملية
السرب الأحمر «إغراق إيلات»
الإختراق الإسرائيلى للزراعة فى مصر
إختراق الأمن الوطنى المصرى
المياه العربية بين نوادر العجز ومخاطر التبعية
من يحمى عروش الخليج (النفط والتبعية)
إعدام صحفى
الكرامة الضائعة فى الصحراء
أزمة الإنتماء فى مصر
مصر الفرعونية
التطرف الدينى ومستقبل التغيير فى مصر
كارثة المعونة الأمريكية
العلاقات الليبية - الأمريكية
بان أمريكان ١٠٣ (اتهام ليبيا أم اتهام أمريكا)
حلايب .. نزاع الحدود بين مصر والسودان
الإخوان والعسكر
القوى الخارجية فى السودان
نظم الحكم العنصرية فى جنوب

أفريقيا
الشيشان
القصص الشعبى فى مصر
إغاثة الأمة فى كشف الغمة
الفاشوش فى حكم قراقوش
الحكمة المدنية
صور من رمضان
كشف المستور من قبائح ولاة الأمور
النقود الإسلامية فى مصر
المرأة التى أحبها عبد الناصر
عبد الناصر .. والإخوان
حوارات عن عبد الناصر
عبد الناصر .. هذا المواطن
برلنتى والمشير (القصة الحقيقية)
عبود الزمر .. حوارات ووثائق
اعترافات الأميرة جيهان
الأعشاب الطبية
الجنس والشباب الذكى
تجارة الجنس
الصوت والضوضاء
ماهى السينما
قضايا المونتاج المعاصر
عزة فى الفضاء (أطفال)
مهرجان (سلسلة للأطفال والفتيان)
العصفور (سلسلة للأطفال والفتيان)
البديل الناصرى (قراءة أوراق التنظيم)
عن الناصرية والناصريين
الأقليات التاريخية فى الوطن العربى
الناصرية والتاريخ
الناصرية ..الأيديولوجيا والمنهج
التنمية المستقلة فى النموذج الناصرى
فلسطين الانتفاضة ..جدل الوطن والأمة
كاريزما الزعامة الناصرية
الناصرية والتجديد
الكلمة والسيف
الحركة الإسلامية فى مصر
الحركة الإسلامية فى مصر .. واقع الثمانينات
المسيح فى الإسلام

الحكومة والسياسة فى الإسلام
الوجيز فى بداية التكوين
رسالة التوحيد للإمام محمد عبده
الإسلام والعروبة
كيف تقرأ القرآن
كيف تجود القرآن
التربية الإسلامية
القرآن : حل مشاكل الأمة
قبس من نور الأسماء
نظرات فى نزول القرآن على سبعة أحرف
مطربة الغروب (قصص قصيرة)
مخلوقات الأشواق الطائرة (قصص قصيرة)
حرب بلاد نمنم (قصص قصيرة)
حكايات الديب رماح (قصص قصيرة)
هذه الليلة الطويلة (مسرحية)
ليس هناك ما يبهج (قصص قصيرة)
لا أحد (قصص قصيرة)
مملكة القرود (مسرحية)
أحزان رجل لا يعرف البكاء (قصص قصيرة)
الشاعر والحرامى (قصص قصيرة)
رشفات من قهوتى الساخنة (قصص قصيرة)
فى المرجعية الاجتماعية للفكر والإبداع
قصائد حب عراقية (شعر)
رويدا باتجاه الأرض (شعر)
نصف حلم فقط (شعر)
صلاة المودع (شعر)
من فصول الزمن الردىء (شعر)
إذهب قبل أن أبكى (شعر)
اللعبة الأبدية ... (شعر)
غربة الصبح (شعر)
الغربة والعشق (شعر)
عطر النغم الأخضر (شعر)
العجوز المراوغ يشد أطراف النهر
هذه الروح لى (شعر)
فى مقام العشق (شعر)
ندى على الأصابع (شعر)

هذا الكتاب

ستظل قضايا الخلاف في الرأى والاعتقاد على رأس قائمة اهتمامات المفكرين والمؤرخين ، ليس فقط لأن هذا الخلاف المتجدد يستمد جذوره من حقب تاريخية مضت ، ولكن قبل ذلك وبعده لأنها مشيئة الله في خلقه عندما قضى عليهم بالاختلاف ، ولو شاء سبحانه وتعالى لجعل الناس أمة واحدة ، وعلى رأى واحد .

وهذا الكتاب يتعرض من وجهة نظر مؤلفه لواحدة من أكثر قضايا الخلاف في الرأى حساسية ومدعاة للجدل ونعني الصراع فيما بين النص والرأى ، أو بالأحرى أصول ومظاهر وأسباب الخلافات التي نشبت فيما بين المسلمين من بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) .

إن إيماننا العميق بأن الاختلاف في الرأى لا ينبغي له أن يحول دون كفالة حقوق متساوية لأطراف الخلاف في طرح رؤاهم وما يعتقدونه حقا يدافعون عنه، هذا الإيمان كان وراء نشر هذا الكتاب الذى نحسب أنه سيثير جدلا تتناسب جديته وما نصادفه من متغيرات حاسمة في حياتنا السياسية والفكرية خلال السنوات المتبقية من القرن العشرين .

والمساحة الزمنية التي يتجول المؤلف داخل سنواتها الطوال وأحداثها الجسام باحثا عما يؤيد افتراضاته ، هي بحد ذاتها منبع ومعين لا ينضب لعشرات من التفسيرات والرؤى حتى لتتباين الآراء حول الحدث الواحد أشد ما يكون التباين ، ولعل في ذلك ما ينفي عن الإسلام ما حاوله البعض من الصاق تهم الجمود والاستبداد بدعوته الحنيفة .

ورغم قناعتنا بأنه لا يوجد طرف في العملية التاريخية يتبوأ على الدوام مقعد الظالم الجلاد أو مقام المظلوم المهان ، فإن ما يطرحه المؤلف عن محنة الرأى في تاريخ المسلمين يستحق أن يقرأ بإمعان واهتمام لعلنا نجد فيه تفسيرا لبعض ما نكابده اليوم من مظاهر الاستبداد بزعم احتكار الوطنية أو إدعاء الحكمة الآلهية .

الناشر

